دائـــرة الشـــؤون الإســـلامية والعمـــل الخيـــري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department

حكومة دبي
GOVERNMENT OF DUBAI

الضياء

مجلة إسلامية ثقافية اجتماعية تصدر عن دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
العدد ١١٦ يوليو ٢٠١٠م - رجب ١٤٣١هـ

من المحرر

الإسلام والجودة

قد لا أكون مبالغاً إذا قلت إن الإسلام – عقيدة وشريعة وأخلاقاً – وكفلسفة للكون والإنسان والحياة، هو كمال الجودة وتمامها.. ومن خلال ذلك نفهم البعد اللانهائي في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ المائدة.

وكيف لا يكون الإسلام كمال الجودة والإبداع وهو دين الله ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (١١٧) البقرة.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤)﴾ الأنعام.

إن الإبداع البشري هو أثر ومظهر من آثار ومظاهر الإبداع الرباني.. بل إنه وظيفة تكليفية ومسؤولية شرعية وليس خياراً بشرياً قبله الإنسان أو رفضه.

سعيد خميس الرحومي
رئيس التحرير

الـرؤيـة
رسالة إسلامية وسطية

الرسـالة
نشر الرسالة الإسلامية وتنمية العمل الخيري بمنهج وسطي

القيـــم
إتقان • تميّز • شفافية

البحوث المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي الدائرة

المشرف العام
د. حمد بن الشيخ أحمد الشيباني
المدير العام لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري

رئيس التحرير
سعيد خميس الرحومي

تنفيذي التحرير
محمد توفيق أحمد

هيئة التحرير
د. أحمد عبد العزيز الحداد
د. محمد عيادة الكبيسي
أشرف شبل
بهاء السنهوري
فاطمة الأرباني

مراجع علمي ولغوي
سيد أحمد نوراني

التصميم والإخراج الفني
جمال الدين حلوم
العنود بن الشيخ

صف وطباعة
كامل خالد حداد

التوزيع
أحمد الأمين

مصور
خادم حسين

www.iacad.gov.ae
Tel: +971 4 6087777 ■ Fax: +971 4 6087555 ■ P.O.Box 3135 Dubai, UAE

كلمة العدد

التوسط والاعتدال للموارد الطبيعية

دعا الإسلام الإنسان إلى أن يعمر الأرض ويستثمرها وينميها ويستخرج ثرواتها، ويجعل ما فيها من موارد لخدمة الإنسانية ونفعها، قال تعالى: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾، وقوله تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾.

وينبغي ان يشعر المسلمون بضرورة بذل الجهود الكفيلة باستثمار موارد الثروة التي حباهم الله بها في بلادهم، وان يأخذوا بالاسباب التي تمكنهم من القوة والريادة، ابتغاء مرضاة الله وطمعا في ثوابه. ولا شك ان في اصلاح الارض تخفيفا لمشكلات البطالة والتضخم والانكماش.

وينبغي مراعاة التوسط والاعتدال في الاستثمار والتنمية للموارد الطبيعية تجنباً لانهاك الأرض واجهادها، فإن خيراتها المقدرة رزق للأجيال البشرية المتلاحقة إلى يوم القيامة.

كما يقر الإسلام حق الشعوب في أن تكون بيئتهم التي يعيشون في كنفها بيئة صحية صالحة لحياتهم، ومناسبة لمتطلباتهم، وخالية من العوامل التي تؤثر في صحة الإنسانية، أو تقلل من قدرات الإنسان ونشاطه. ويذكر الاعلان في هذا الصدد ان حماية النفس البشرية حماية كاملة على النحو الذي قررته الرسالات الإلهية، وخاتمتها رسالة الإسلام، لا يتم إلا إذا كانت البيئة صحية لا تنبعث منها الأمراض والأوبئة، فإن أعمال الإنسان قد تؤثر في الكون كافة: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾.

أن حق الإنسان في العيش في بيئة صحية لا يكتمل إلا من خلال تعاون دولي، يحترم المواثيق الدولية التي انبثقت من مؤتمرات عديدة استهدفت حماية البيئة ووقايتها من التلوث، ومنع أي إضرار بها وترى الجامعات الإسلامية أن من واجبها العمل على تحقيق المعدلات والمتطلبات التي نصت عليها هذه المواثيق ما دام ذلك يتفق مع قاعدة منع الضرر: «لا ضرر ولا ضرار»، وعملا بقوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر التقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.

د. حمد بن الشيخ أحمد الشيباني

خارطة العدد

دراسات قرآنية	9-4
دعوة ودعاة	13-10
علـــوم	27-14
حـــوار	34-28
اقتصاد إسلامي	37-35
على طريق الهداية	43-38
عمارة إسلامية	45-44
أقليات إسلامية	51-46
العمل الخيري	61-52
وقف إسلامي	63-62
خطـرات	64

4 من دقائق البيان في حـوار القـرآن

7 أثر شعبان على سلوك المسلم

8 القرآن وأسـراره

12 داعية بلا عمل أصلح ولا تتراجع

16 البـــــــلاء

20 بركان آيسلندا الدلالات والعبر

28 المهيمـــن

35 التحـــــدي

36 هل تنتشر عالمياً؟

38 الصدق

44 المآذن الإسلامية

52 التميز والجودة فـي الإســـلام

58 القواعد العامة للعمل الخيري

64 إعجاز الإسلام في ساعة الجسم البيولوجيـــــة

18
النمل الأبيض
حياة اجتماعية ومهنية هندسية

24
الوعـي البيئـي
ضرورة إسلامية

46
الأقليات المسلمة في شمال أوروبا
المسلمون في فنلنـــدا

62
الوقف ودوره في النماء الاجتماعي

32
حوار الدكتور أحمـد زويـل

إنّ من أعلى فوائد العلم (الشرعي والكوني) أَنْ يدل الإنسان على الإيمان باللّه إيماناً صحيحاً راسخاً والإيمان بما أمرَ اللّهُ بالإيمانِ به ومعرفةِ شرائعه لخلقه، والالتزام بهديه والتمسط بصراطه.

من دقائق البيان في حوار القرآن

بقلم:
د. محمود الزين
كبير باحثين
دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

بسم الله الرحمن الرحيم
له الحمد وبه المستعان،
وعلى حبيبه سيدنا
محمد وآله وصحبه أفضل
الصلاة والسلام وبعد . .
فإن بلاغة القرآن الكريم
تتجلى أكثر التجلي في
إحكام عباراته ودقة معانيها
ووفرتها مع الإيجاز الفائق،
وهما أمران كأنهما متعارضان
إذا أراد المرء أحدهما فاته
الآخر، وقل من يجمع بينهما،
فإن وجد أحد منهم فإنما
يمكنه ذلك في عبارات قليلة
أما القرآن الكريم فإن وجود
ذلك فيه كالقاعدة المطردة
حتى في مواطن التفصيل
كالمحاورات ومن أبرزها هذه
الآية الكريمة من سورة الزخرف:
﴿وجعلوا له من عباده جُزءاً إن
الإنسان لكفور مبين﴾

هذه الآية تبرز طغيان الإنسان في قضية التوحيد بإجمالها وأجزائها، فالقول بتجزؤ الإله كما تتجزأ المخلوقات هو قول ترفضه العقول السوية؛ لأن ما يتجزأ يمكن أن يستمر تجزؤه حتى يتلاشى ولا يبقى منه شيء، وإنما ترفضه العقول لأن التجزؤ عمل يحتاج إلى فاعل، ولا يوجد في الكون شيء يمكن أن يؤثر في ذات الإله وهو القوة التي لا نهاية لها، وهو الوجود الأزلي الذي لا بداية له فكيف يؤثر فيه شيء حادث هو مفتقر إليه؟ ولو كان قابلا للتجزؤ والفناء لحصل ذلك منذ دهور كثيرة.

ومع كون فكرة التجزئة مستحيلة الوقوع جاءت الآية وفيها شيء يزيد استحالة وقوعها وهو التعبير بقوله سبحانه: "وجعلوا له" والمخلوق عاجز عن أن يعمل شيئا يتعلق بوجود الخالق وصفاته، وهذا يبرز بطلان ما يقولون كأنه يقول: لقد ادعوا أنهم يستطيعون تصريف شؤون الإله سبحانه، وجاء تقديم الجار والمجرور "له" مقويا لما أفاده التعبير بـ "جعلوا" من استحالة وقوع ما يقولون، ومن تجاوزهم الحدود ادعاء الجزء له اختلاقا بلا مستند ولا شبهة تعين عليه.

ثم تقوى هذا المعنى بقوله "من عباده" لأن حقيقة العبودية لا تشبه حقيقة الألوهية بوجه من الوجوه فكيف تكون العبودية جزءا من الألوهية؟ أي: هذا أمر مستحيل يشبه أن نقول (إن هذا الحجر جزء من هذه الرياح وإذا كان وجود الجزء مستحيلا فدعوى أن هذا الجزء هو من حقيقة الإله أشد في الاستحالة، وإضافة العباد إليه سبحانه تقوي المعنى أكثر، لأن إضافتهم إليه تعني أنه خالقهم ومالكهم سبحانه فهذه العبودية رغم استحالة أن تكون جزءا له هي مستحيلة من جهة أخرى، جهة أنها مملوكة لله تعالى أي كيف يكون المملوك جزءا من مالكه.

وفي تأخير لفظ "جزءا" وتقديم الجار والمجرور مرتين "جعلوا له من عباده" فائدة أخرى هي التشويق إلى معرفة ماذا جعلوا لكون ذلك في غاية الغرابة وأي غرابة أغرب من الأمر المستحيل؟ فإذا ذكر هذا المؤخر وكان في نفسه أبعد في الاستحالة امتلأ سامع الكلام بالتعجب الشديد والاستنكار العظيم لهذه الدعوى وامتلأ قلبه نفرة وكرها للقول بها.

ولأن مجرد الإخبار عنهم بهذه الدعوى يكشف عن تخبط عقولهم وتناقضها وشدة جرأتهم على قول الباطل الصريح الذي ينكره كل عقل سليم لم يحاورهم القرآن في قولهم ولا أقام الأدلة على بطلان دعواهم

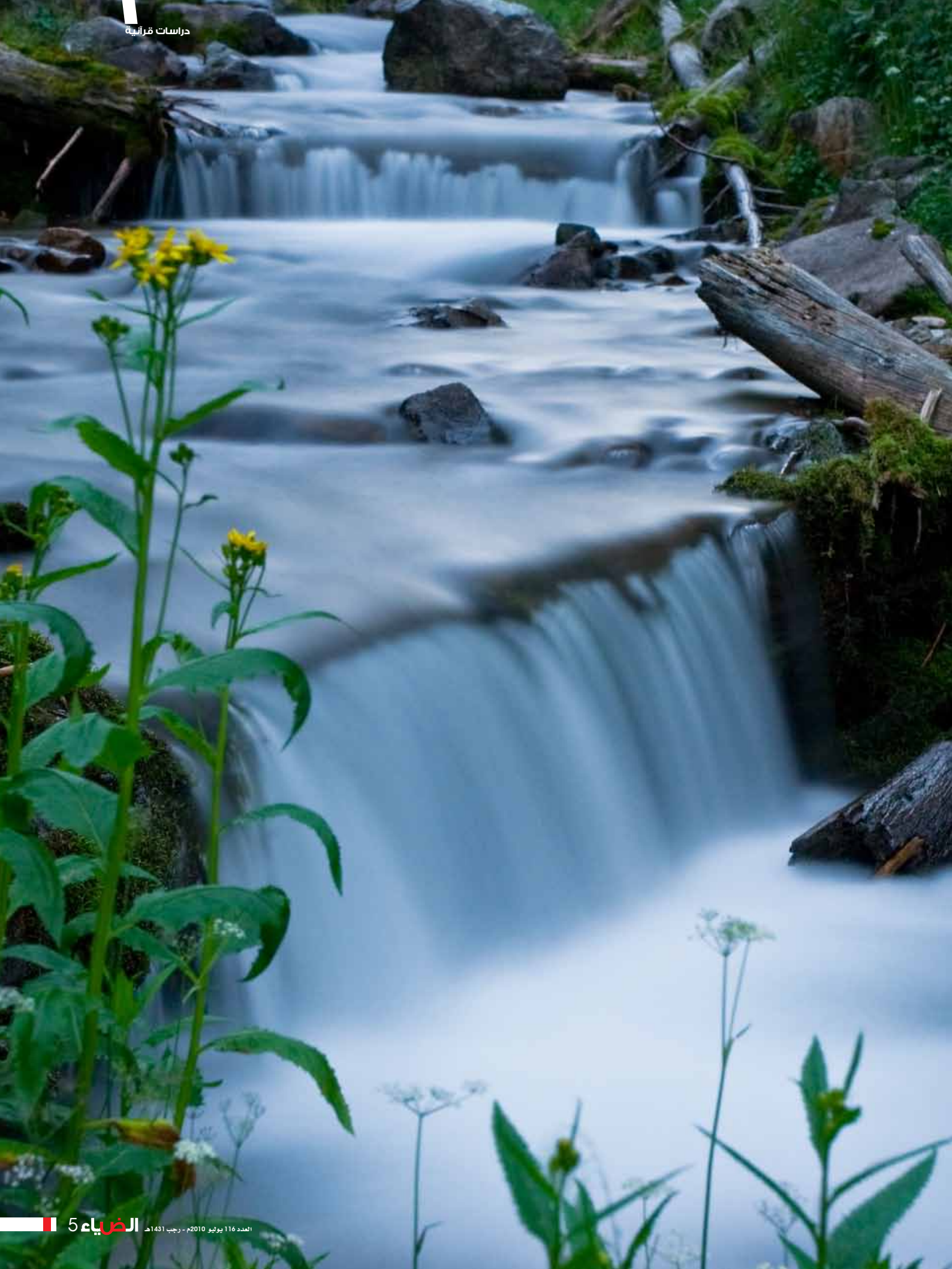

واكتفى بمجرد الإخبار عنـها فقال: ﴿وجعلوا له من عباده جزءا﴾ كما لو قلنا (زعم فلان أن الأبناء يلدون آباءهم)، ثم صبّ عليهم الإنكار صبا فقال: "إن الإنسان لكفور مبين" فوصفهم بالكفر أي جحود الحق مع معرفة أنه حق وصفا غاية في التقبيح فالكفر في نفسه إخفاء للحق ودفن له، وزيادة على ذلك جاء بصيغة المبالغة "كفور" ووصف بأنه "مبين" على معنى أنه مبين عن وجود صفة الكفر فيه أو على معنى أن كفره ظاهر بين.

> هذه الآية تبرز طغيان الإنسان في قضية التوحيد بإجمالها وأجزائها، فالقول بتجزؤ الإله كما تتجزأ المخلوقات هو قول ترفضه العقول السوية

ويلاحظ أن الآية لم تقل إن قائل هذا كفور مبين ولا قالت إن هؤلاء الذين جعلوا له من عباده جزءا كفرهم مبين بل أسندت هذا الوصف إلى الإنسان، وليس كل إنسان كفورا فهناك أهل الإيمان والتقوى والإحسان وقد قال سبحانه ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾. ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ ولذلك قال المفسرون إن المراد بالإنسان هنا الكافر وهذا تفسير للمقصود بحسب السياق ولكن اختيار لفظ الإنسان في هذا الموضع وأشباهه مراد منه الدلالة على أن الإنسان قد خلق ومعه الاستعداد لأشد الكفران والجحود وكل القبائح، وهذه الطبيعة هي التي جعلت هؤلاء يكفرون الكفر المبين كما أن أهل التقى والفضائل دفعهم إليها الاستعداد الذي خلق الله الإنسان عليه أي الاستعداد لأفضل الفضائل وأكمل الكمالات فالسياق يفيد أن لكلمة الإنسان في الآية صفة دل عليها السياق فحذفت كأنه قيل: إن الإنسان الذي انحرف عن الحق وانجرف في طريق الباطل لكفور مبين أي هذه عادته وطبيعته، وهذا الأسلوب أقوى في الحكم بالكفر على هؤلاء الذين جعلوا له من عباده جزءا من أن يقال إن هؤلاء كفار مبينون ونحوه فهذه العبارة ما هي إلا خبر، وأما ما جاء في الآيات فخبر يحمل معه برهانه، والفرق بينهما كالفرق بين أن نقول عن شخص معين إن فلانا يقول قولا متناقضا وبين أن نقول عنه "إن الجاهل يقول قولا متناقضا" فهذا في قوة قولنا إن فلانا يقول كلاما متناقضا لأنه جاهل والجاهل يتوقع منه الوقوع في التناقض دون أن يتنبه.

وقد ساقت الآية هذا الحكم (الإنسان كفور) مع قوته في نفسه مؤكدا بوجهين من التأكيد أولهما دخول إن على الجملة، وثانيهما تأكيد الخبر باللام "إن الإنسان لكفور".

وهذه الجملة بمنزلة التأكيد لما دلت عليه الجملة السابقة "وجعلوا له من عباده جزءا" من الجحود القائم على التناقض كأنها تقول إن ما تقدم في الجملة السابقة هو تناقض في الادعاء ومبالغة في الجحود دال على طبيعة الإنسان المنحرف عن الحق وبيناته، فهو كفور مبين في كفره، ولقوة ترابط معنى الجملتين لم تحتج الثانية إلى حرف من حروف العطف يربطها بسابقتها بل جاءتا مسبوكتين معا كأنهما سبيكة واحدة.

والمتأمل في هذه السورة سورة الزخرف يراها كلها تدور في فلك توحيد الله تعالى فبعد بداية السورة وهي كالمقدمة لكل موضوعاتها تذكر السورة آية هي أساس لقضية التوحيد وهو أن العبودية حق للخالق المنعم وحده لا يستحقها سواه فتقول ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم. الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون﴾ وبعد تعداد النعم تأتي الآية التي تذكر شركهم "وجعلوا له من عباده جزءا﴾ ومعها آيات أخر تعرض أقوالهم وآراءهم وما فيها من شرك بالله ويحاورهم في أقوالهم وآرائهم جزءا جزءا ثم ختم بقوله سبحانه عن المشركين من الأمم السابقة ﴿فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ ثم تعرض السورة قول أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام في التوحيد ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين﴾ ثم يعود إلى حوار المشركين الذين كذبوا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ثم يذكر قصة موسى عليه السلام مع فرعون مدعي الربوبية وكيف أخذه الله تعالى ثم يذكر خبر عيسى عليه السلام مع قومه وكلها من قصص التوحيد، ثم يذكر بمصير المؤمنين والكافرين في الآخرة ثم يعود مرة أخرى إلى حوار المشركين المكذبين لنبينا محمد عليه لصلاة والسلام وفي الآيات الأخيرة يقول سبحانه ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون. وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون﴾ لتتجاوب أواخر السورة مع أوائلها.

> المتأمل في هذه السورة سورة الزخرف يراها كلها تدور في فلك توحيد الله تعالى فبعد بداية السورة وهي كالمقدمة لكل موضوعاتها تذكر السورة آية هي أساس لقضية التوحيد وهو أن العبودية حق للخالق المنعم وحده

أثر شعبان على سلوك المسلم

الحمد لله ، وصلى الله وسلم على نبيه ومصطفاه ، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فإن من رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن جعل لها محطات تتوقف فيها فتراجع نفسها، وتتفكر في أمرها، وتدقق في حسابها.

هذه المحطات بمثابة منبّه أمين حريص يقول للإنسان: قفْ وتبّصر في طريقك ، وانظر مواقع أقدامك ، وتحرّز ، ففي الطريق مطبات وعقبات، فإن لم تستعد لها، وتعد العدة لتجاوزها، وتتحزم لمواجهتها كنت على شفا حفرة!

ومن هذه المحطات الربانية شهر شعبان هذا ، وهو شهر جعل فيه الحقُ سبحانه إطلالة قدسية من إطلاعاته إلى خلقه، تنهمر منها الرحمات وتعم البركات، وتسح فيه المغفرة الإلهية سحاً.

ولنتأمل في الحديث الذي أخرجه ابن حبان في صحيحه والطبراني في معجميه الكبير و الأوسط وأبو نعيم في الحلية عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يطلع الله إلى خلقه في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن).

وحين يتأمل الإنسان المسلم في هذا النص النبوي فهو لابد أن يتطلع إلى حصول هذه المغفرة وانصبابها عليه لتغسل أدرانه وسيئاته ، وترقق قلبه، وتطلق عبرته، وتنهض به إلى ربه خفيفاً يحث الخطا إلى رضىً من ربه ورضوان، بعيداً عن إصر الذنوب وقيد الخطايا والإخلاد إلى الأرض ، والتثاقل عن نسمات الأسحار ومواسم الأبرار، وهذا كله متوقف على أن يتوقف، ويخلو بنفسه في ساعة من ليل أو نهار، لينظر في إيمانه وأعماله ، ويفتش زوايا قلبه وروحه ونفسه ، فيجدد إيمانه ، ويصفيه من كدورات قد تكون لحقت به في غفلة من الغفلات ، ويتحقق بقوله تعالى ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾، ويعقد قلبه على توحيد خالص أنه لايضر ولاينفع ويصل ويقطع ويعطي ويمنع ويخفض ويرفع إلا الله سبحانه ، ثم ينظر في علاقاته بإخوانه المسلمين، فإن كانت الدنيا قد أوقعت بينه وبين أحد منهم ـــ سواء كان ظالما أو مظلوماً ـــ بادر إلى سلّ تلك السخيمة من نفسه ، ورمى بالحقد والبغضاء والحسد والكيد والمكر جانباً، وسعى إلى تحقيق الوحدة بين المسلمين ـــ من خلال علاقاته هو على الأقل ـــ وقام بإيمان صادق ، ونفس صافية يتعرض لنفيث المغفرة المنهمر الذي جعل الله ليلة النصف من شعبان موعداً له.

حقاً إن شعبان شهر الوحدة والتوحيد، فلنتحقق بهذين الوصفين، ولنستعد لدخول رمضان ونحن على غاية من الصفاء والنقاء. والله الموفق لاربَ سواه.

د.عبد الحكيم الأنيس
كبير مفتين أول
دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

> جمعت هذه السورة من شبهات المشركين وحوار القرآن حول قضية التوحيد شيئا كثيرا حتى ليمكن أن تسمى سورة التوحيد لولا أن تسمية السورة أمر مأثور لا يغير

وقد جمعت هذه السورة من شبهات المشركين وحوار القرآن حول قضية التوحيد شيئا كثيرا حتى ليمكن أن تسمى سورة التوحيد لولا أن تسمية السورة أمر مأثور لا يغير.

ولكي يظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصه على طاعة الله في قضية التوحيد أمره الله تعالى أن يقول لهم: ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ وهي طريقة من الحوار قائمة على الافتراض يراد منها بيان الحرص على اتباع الحق وبراهينه إذا ثبتت ولا يراد منها ما يتوهمه الجاهل الذي لا يتأمل الكلام من أن وجود لولد ممكن ولو ثبت وجوده لقبل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعبده بل إن المتأمل في الآية وسياقها ليجزم أن مضمونها عند التدبر هو التحدي وإن كان الظاهر منها مجرد الإخلاص في اتباع الأدلة إذا ثبت وتبين الحق الذي تدل عليه. وما هي إلا كقول الإنسان لخصمه بعد أن يقدم الأدلة القاطعة على أنه على غير الحق: إن أثبت أنك على الحق تابعتك. وهو يريد بذلك أن يقول له ضمنا: لا يمكن بعد هذه الأدلة القاطعة أن تكون على الحق، وكل ما سوف تأتي به معارضا للأدلة القاطعة المذكورة أولا هو سخف وهراء ولكنه خاطبه بهذا الأسلوب الافتراضي إظهارا للإنصاف وتأليفا لقلبه ودعوة له إلى الإنصاف في الحوار واتباع الحق إذا تبين.

القرآن وأسراره

الحلقة الثالثة : منهاج التدبر في بعض الآيات

إعداد:
الدكتور علي عبد العزيز سيور.
أستاذ الدراسات القرآنية بكلية الدعوة ببيروت سابقا.
وأستاذ متعاون بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي
للتواصل: ٠٥٠٧٩٤٦٠٠٣

التدبر عامل مهم من العوامل التي تساعد على كشف السنن، ويعصم من الإنحراف، ويثبت الإيمان ويقوي اليقين ليس الغرض من هذا العنوان أن أذكر لك أخي العزيز شروط المفسر، ولا ضوابط التفسير بالرأي، فليس هذا ما نصبوا إليه من خلال هدف التدبر في بعض الآيات، وإنما الذي نريده هو أن نصل من خلال قراءتنا لآية من كتاب الله عزوجل إلى أن نتعظ بها، وتترك أثرا في نفوسنا ينصلح بعدها سلوكنا، ونترقى في صفاء الفكر، وسمو الروح، وزكاة النفس، وجميل الصفات، وكمال الأخلاق، وحسن السلوك إلى ما يليق بالمؤمن الرباني صاحب الخلق القرآني.

فأنت أثناء قراءتك في كتاب الله عزوجل تمر بك آيات، منها ما يتحدث عن الخالق العظيم وصفاته، ومنها ما يتحدث عن قصص النبيين مع أقوامهم، ومنها ما يتحدث عن أوامر الله تعالى ونواهيه إلى عباده، ومنها ما يتحدث عن أحوال الناس يوم القيامة، وأهوال ما يجد الكافر، أو أحوال المؤمن وما يلاقيه من بشارات بين يديه. إلى غير ذلك من الأنواع، وفي كل نوع من هذه الأنواع ينبغي أن يستحضر المؤمن نوعا من التدبر يناسب موضوع تلك الآيات، فما هو المنهج الذي ينبغي للمؤمن أن يستحضره عند كل نوع من هذه الأنواع:

التدبر في آيات ذكرت أسماء الله وصفاته:

فمن الآيات التي ذكرت صفات الله عزوجل، قوله تعالى: ﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) ﴾ سورة الدخان

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠) ﴾ سورة غافر.

ومن الآيات التي ذكرت بعض أسمائه قوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)﴾ سورة الحشر.

فالأصل فيما سبق أن يتعامل المتدبر مع مدلول هذه الأسماء والصفات، وإذا فعل ذلك أورث عنده خشية دائمة، ومراقبة مستمرة، وصلة بالله لا تنقطع، وطمأنينة إلى تأييده ونصره في الشدة، وحذرا ومراقبة إلى أخذه وبطشه عند الرخاء ...

وهو أمام هذا النوع من التعامل مع هذه الآيات من التدبر في مدلولاتها وآثارها لا يزداد من الله تعالى إلا قربا ومعرفة وتنزيها. لأنه يشهد من الصفة أثرها، ويشهد من الكون وخلقه صفات الكمال والجلال والجمال للفاعل الحقيقي وعظمته سبحانه.

أما إذا أراد أن يقف على معنى اللفظ بما يكون عليه من حقيقة في صفة المتكلم، فهو بهذا يوقع نفسه في مهلكات النفس، ويورد نفسه موارد الفتن، وقد نهى الله تعالى عن هذا النوع من التدبر في هذه الآيات فقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ (٧) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) ﴾ سورة آل عمران.

ووضع لنا ضابطا أساسياً في هذا المجال إذا أرادت النفس أن تتجه إلى التدبر في

الاتجاه الخاطئ، فقال سبحانه:

﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾ سورة الشورى.

فلا يشبه خلقه، فهو الخالق، ولا يشبهه شيئ من خلقه، فشتان بين الخالق والمخلوق. فالمطلوب من المتدبر إذا هجم على الخاطر هذا النوع من التدبر أن يقدم الاعتقاد الجازم بما أخبر الله تعالى مما تفرد بتأويله سبحانه. وأن يعود إلى التدبر الأول الذي سبق ذكره من رؤية أثر الصفة التي تدل بأثرها على عظمة الخالق وكمال صفاته.

التدبر في آيات قصص الأنبياء

والحديث في القرآن عن قصص الأنبياء متنوع، فتارة يتحدث عن النبي وتبليغه الرسالة، وتارة يحدث عن النبي ومعاندة قومه له، وتارة يحدث عن انحراف الأقوام ومعالجة الأنبياء لهم حتى يعودوا إلى ربهم، وتارة يحدث عن نهاية الصراع بين الأنبياء وأقوامهم بالنصرة المتحققة الدائمة للأنبياء في ختام المطاف... وهكذا تتنوع الأغراض، والمتدبر أمام كل نوع من أنواع القصة له تدبر يحصل عليه، ويتوصل إليه، وإن كان قد سبق لنا أن تحدثنا عن بعض ملامح هذا التدبر في الفصل السابق، فلا يمنع من ذكر أمور لم تذكر هناك، ولا تغني هذه عن تلك، فمن أنواع التدبر في هذا المقام، رؤية حلم الله على الذين يجهلون، وتأكيد نصر لله لرسله وللمؤمنين، وقدرة الله المطلقة في أخذ عباده الظالمين، وغناه سبحانه عن عباده مؤمنين وكافرين، وليكن حظ المؤمن من هذا الحديث الإعتبار في نفسه، وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتر بما أمهل فربما تدركه النقمة، وتنفذ إليه القضية.

ومن كلام بعض أهل العلم في هذا المقام قول بعضهم: « وإن كان ما يقرؤه من الآى فيما قص الله على الناس من خبر من مضى من الأمم فلينظر فى ذلك وإلى ما صرف الله عن هذه الأمة منه فيجدد لله على ذلك شكراً.

التدبر في الآيات التي فيها المأمورات والنواهي

ومن عادة القرآن أن يستهل الأمر بالفعل، أو النهي عن الفعل بنداء المؤمنين، والمؤمن في كل حال يعرض نفسه على مأمورات الآيات ومنهياتها، ويقيس سلوكه على هذه الآيات فإن وجد خيرا استبشر، وإن وجد تقصيرا استغفر، وهكذا الشأن أمام كل نداء من الله وخطاب إلى عباده. قال الزركشي في تحقيق هذا المنهج:

«وإن كان ما يقرؤه من الأى مما أمر الله به أو نهى عنه أضمر قبول الأمر والائتمار والانتهاء عن المنهى والاجتناب له، فإن كان ما يقرؤه من ذلك وعيدا وعد الله به المؤمنين، فلينظر إلى قلبه فإن جنح إلى الرجاء فزعه بالخوف، وإن جنح إلى الخوف فسح له في الرجاء حتى يكون خوفه ورجاؤه معتدلين، فإن ذلك كمال الإيمان».

وقال: «وإن هو مر بآية فيها نداء للذين آمنوا فقال يأيها الذين آمنوا وقف عندها، وقد كان بعضهم يقول لبيك ربى وسعديك ويتأمل ما بعدها مما أمر به ونهى عنه فيعتقد قبول ذلك فإن كان من الأمر الذى قد قصر عنه فيما مضى اعتذر عن فعله فى ذلك الوقت واستغفر ربه فى تقصيره، وذلك مثل قوله: ﴿يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا (١١)﴾ سورة التحريم.

وعلى كل أحد أن ينظر فى أمر أهله فى صلاتهم وصيامهم وأداء ما يلزمهم فى طهاراتهم وجناباتهم وحيض النساء ونفاسهن، وعلى كل أحد أن يتفقد ذلك فى أهله ويراعيهم بمسألتهم عن ذلك، فمن كان منهم يحسن ذلك كانت مسألته تذكيرا له وتأكيدا لما فى قلبه، وإن كان لا يحسن كان ذلك تعليما له. ثم هكذا يراعى صغار ولده ويعلمهم إذا بلغوا سبعا أو ثمانى سنين ويضربهم إذا بلغوا العشر على ترك ذلك فمن كان من الناس قد قصر فيما مضى اعتقد قبوله والأخذ به فيما يستقبل وإن كان يفعل ذلك وقد عرفه فإنه إذا مر به تأمله وتفهمه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا (٨)﴾ سورة التحريم. فإذا قرأ هذه الآية تذكر أفعاله فى نفسه وذنوبه فيما بينه وبين غيره من الظلامات والغيبة وغيرها ورد ظلامته واستغفر من كل ذنب قصر فى عمله ونوى أن يقوم بذلك ويستحل كل من بينه وبينه شىء من هذه الظلامات من كان منهم حاضرا وأن يكتب إلى من كان غائبا، وأن يرد ما كان يأخذه على من أخذه منه، فيعتقد هذا فى وقت قراءة القرآن، حتى يعلم الله تعالى منه أنه قد سمع وأطاع فإذا فعل الإنسان هذا كان قد قام بكمال ترتيل القرآن، فإذا وقف على آية لم يعرف معناها يحفظها حتى يسأل عنها من يعرف معناها ليكون متعلما لذلك طالبا للعمل به، وإن كانت الآية قد اختلف فيها اعتقد من قولهم أقل ما يكون وإن احتاط على نفسه بأن يعتقد أوكد ما فى ذلك كان أفضل له وأحوط لأمر دينه.

التدبر في آيات ذكرت القيامة والآخرة، وذكرت الجنة والنار

بما أن التالي لكتاب الله تعالى مطالب بالتدبر في كل ما يقرأ فلن يكون أمام هذا النوع من الآيات في بعد عن هذا منهج التدبر بل هو أحقها وأوضحها وألزمها، وهو مطالب بالتدبر والتفكر في هذا على الخصوص لما فيه من عصمة للنفس عن الهوى، وحملها على البر والتقوى، وإن كان الناس في هذا الميدان على تباين واختلاف، فمنهم من يصل إلى مقام قد يشم رائحة الجنة كما حدث مع بعض الصحابة، ومنهم من يكتفي بما يحمله لفظها من دلالات، فهذه الآيات على الخصوص» لا يمكن استقصاء ما يفهم منها، لأن ذلك لا نهاية له، وإنما لكل عبد منه بقدر رزقه كما قال تعالى: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا (١٠٩)﴾ سورة الكهف.

وينبغي أن يتخذ القارئ في طريقة التدبر لمثل هذه الآيات ما ذكره بعض أهل العلم من قولهم: «وينبغى أن يشتغل قلبه فى التفكر فى معنى ما يلفظ بلسانه فيعرف من كل آية معناها ولا يجاوزها إلى غيرها حتى يعرف معناها فإذا مر به آية رحمة وقف عندها وفرح بما وعده الله تعالى منها واستبشر إلى ذلك وسأل الله برحمته الجنة، وإن قرأ آية عذاب وقف عندها وتأمل معناها فإن كانت فى الكافرين اعترف بالإيمان فقال آمنا بالله وحده وعرف موضع التخويف ثم سأل الله تعالى أن يعيذه من النار. واعلم أخي المؤمن أن المرء إذا التزم بهذا المنهج فقد حقق ما طلب منه من تلاوة القرآن حق تلاوته، وترتيله على الوجه الذي أراده الله تعالى، فقد نقل الغزالي منهج السابقين في التلاوة فقال عنهم:

«نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا أرق للقلوب ولا أشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره، فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة، فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح، وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته، وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عزوجل ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم، وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا إليها، وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها.

تدبر النبي عليه السلام والصحابة ومن بعدهم في آيات القرآن

لقد علمت مما سبق فضل التدبر وأثره على الإيمان والسلوك والفكر. وكيف أن التدبر عامل مهم من العوامل التي تساعد على كشف السنن، ويعصم من الإنحراف، ويثبت الإيمان ويقوي اليقين. وحان الوقت لأن أذكر لك مجموعة من قصص السلف وهم يتدبرون القرآن الكريم، وأول ما نبدأ به، هو سيد المرسلين وإمام النبيين، وخاتمهم أجمعين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أعظم من تدبر في كتاب الله وفقه مراده:

• **تدبر وقيام النبي صلى الله عليه وسلم:**
قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة فقام بآية يرددها وهي قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(١١٨)﴾ سورة المائدة.

وإذا علمت مدى حب النبي لأمته، وحرصه على نجاتهم، أدركت المقصد الذي حمل النبي صلى الله عليه وسلم على التدبر في هذه الآية. قال الغزالي: « وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية.

• **تدبر بعض الصحابة رضي الله عنهم:**
فقد قام تميم بن أوس الداري - وكان نصرنيا فاسلم - ليلة كاملة بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(٢١)﴾ سورة الجاثية.

وإذا عرفت أن تميم بن أوس الداري كان قبل إسلامه نصرانيا ثم أسلم، أدركت البعد الذي دفعه إلى التدبر بهذه الآية طويلا، وهو يقارن بين من يزعم أنه من أبناء الله وأحبائه، ومع ذلك يصف الله بصفات لا تليق به، ويجعل له ولدا وشريكا وصاحبة، ويدعي أنه من أهل الجنة دون سواه كما حكى الله لنا مقولتهم ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١)﴾ سورة البقرة. وبين الموحدين المؤمنين الصادقين. ولعل هذه الحالة تكشف لك سرا من أسرار التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل.

• **تدبر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:**
فقد روي عنه أنه قام يصلي من الليل يتلو قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ(٢٤) ﴾ سورة الصافات. فجعل يكررها ولا يستطيع أن يجاوزها من البكاء. فإذا أدركت عدل عمر بن عبد العزيز، علمت السر في عدله وعلاقته بهذه الآية، والتدبر فيها، وأن العبد موقوف مسؤول بين يدي الله، ومن كان مسؤولا فعليه أن يعد لكل سؤال جوابا، وإلا فليمنع نفسه من المساءلة بالإلتزام.

ثم إذا عرفت ما سبق هذه الآية من آيات، أدركت سبب تخيير عمر بن عبد العزيز زوجته فاطمة بنت عبد الملك بين أن تبقى معه زوجة تعينه على الحق والعدل وترد الذهب وما أعطاها أبوها عبد الملك من بيت مال المسلمين، وبين أن تختار الطلاق منه وتذهب بالذهب الذي أخذته من أبيها من بيت ما المسلمين، واقرأ الآيات قبل هذه الآية، وهي قوله تعالى:
﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ(٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ(٢٣) ﴾ سورة الصافات .

وبهذا ينكشف لك سر التدبر الأمثل لكتاب الله وآياته، فرب آية شكلت منهاج حياتك، وصححت لك طريق إقبالك على الله.

داعية بلا عمل..

د./ محمد صلاح الدين
باحث في الشريعة الإسلامية - جامعة الرياض

من عظمة ديننا الإسلامي الحنيف أنه لا يفصل بين الدنيا والدين، بل إنه يدعو إلى إصلاح الدنيا بالدين، فالإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا... والواجب على الدعاة إلى الله أن يكونوا قدوة للآخرين، فإذا دعوا الناس إلى عمل صالح كانوا في مقدمة ركب العاملين، وإذا نهوا الناس عن منكر فأحرى بهم أن يكونوا في مقدمة المنتهين، فلا يليق بداعية إلى خير أن يتخلف عن فعله، كما لا يليق بناهٍ عن شر أن يكون من فاعليه.

أصلح ولا تتراجع

وقد شدد سبحانه وتعالى على ذلك أيما تشديد فقال سبحانه، محذرا الدعاة والهداة: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾.

فالداعية الذي يأمر الناس بالمعروف ولا يفعله، وينهى الناس عن المنكر وهو واقع فيه، يوضع كما في الحديث الصحيح يوم القيامة في النار، فتدور أمعاؤه كما يدور الحمار في الرحى، فيسأله أهل النار عن سر هلاكه وقد كان في الدنيا يدعوهم إلى المعروف وينهاهم عن المنكر، فيقول لهم: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه.

وقد صدق الشاعر حين قال:

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
وتراك تصلح بالرشاد عقولنا
أبدا وأنت من الرشاد عديم
فهناك يسمع ما تقول ويهتدي
بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

فليتق الله هذا الداعية، وليعد إلى صوابه ورشده، ولا يكونن خنجرا يطعن به أعداء الله دين الله، وإن لم يكن للإسلام فلا يكونن عليه، وإن لم ينفعه وينصره فلا يضره ويسيء إليه، ورحم الله من قال لجمع من الدعاة: (أيها الدعاة اتقوا الله في دينكم ودعوتكم، واعلموا أن الناس يسمعونكم بأعينهم لا بآذانهم)، الله أكبر على هذا الفهم العالي، وليت دعاتنا اليوم يفهمون!.

وعلى الداعية أن يعلم أن الله عز وجل قد من عليه بنعم كثيرة، في مقدمتها نعمة الإسلام، ونعمة الالتزام، ثم أكرمه بأن اختاره للقيام لأشرف مهمة ألا وهي مهمة (الدعوة إلى الله)، قال تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾.

فليحمد هذا الداعية ربه على هذه النعم الكثيرة، وليؤد شكرها ليزيده الله من نعمه وفضله، قال تعالى: ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديدٌ﴾، ومن أداء شكر هذه النعم أن يستمر في تبليغ دعوته سبحانه وتعريف عباده عليه، بإرشادهم لطريق طاعته وتحذيرهم من مغبة معصيته.

> من عظمة ديننا الإسلامي الحنيف أنه لا يفصل بين الدنيا والدين، بل إنه يدعو إلى إصلاح الدنيا بالدين، فالإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا... والواجب على الدعاة إلى الله أن يكونوا قدوة للآخرين

وأن يحذر تلبيس إبليس، وليكن استشعاره لهذا الخطر دافعاً للمزيد من الفرار إلى الله بالاستمرار في الدعوة إليه، وليحذر أن تطول به مدة الفتور، فإنها تؤدي إلى الكسل عن الدعوة، ثم إلى التثاقل عن حمل مهامها، ثم إلى تركها والبعد عنها، ثم.. ثم.. إلى القنوط من رحمة الله وهذا ما يسعى الشيطان للوصول إليه، قال تعالى: ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾، فليتق هذا الداعية ربه في نفسه ودينه ودعوته، وليشمر عن ساعد الجد، وليعد إلى ربه وليأخذ من تقصيره دافعاً لمزيد من الحركة وبذل الجهد.

واعلم أخي الكريم أن من الأخطاء الشائعة في عالم الدعوة إلى الله قول البعض - ممن يستشعرون التقصير أو يرتكبون بعض الذنوب الصغائر - قولهم: إنني غير صالح لمواصلة الطريق، علي أن أتوقف - لفترة - حتى أصلح نفسي!! وهذه - يا أخي - هي بداية النهاية في حياة الدعاة، عندما تسول لهم نفوسهم أن انقطاعهم عن طريق الدعوة سيصلح حالهم!!.

فاعلم أخي - حفظك الله - أن الداعية يدعو إلى الله وأن الله يكرمه بإصلاح حاله، فمثلاً لو كان هذا الداعية مقصراً في صلاة النوافل، أو مقصراً في ورده القرآني، فإنه عندما يذكر الناس بفضل وأجر النافلة وعظيم الثواب المنتظر من المحافظة على الورد القرآني فإنه - ولا شك - سيكون بعدها أشد حرصاً عليهما.. أو هكذا يجب أن يكون.

نعم الأصل أن الداعية يدعو الناس إلى ما يؤمن به، ويحافظ على فعله، لكن أيضاً لا يحرم الأجر من الله إن ذكر الناس بسنة أو دعاهم إلى الحفاظ على نافلة، أو فضيلة، ومن إكرام الله له أن يصلح له نفسه وأن يرزقه الحفاظ على ما يدعو الناس إليه.

وختاما..

ليمض هذا الداعية في دعوته، ولا يتوقف في الطريق، ولا يستسلم لنوازع الشيطان وليجتهد في الاستغفار والتوبة، وليعلم أن الله سيصلح له قلبه، وسيعيد إلى إيمانه شبابه، فليتوكل على الله تعالى.

نسأل الله تعالى أن يهدينا إلى الخير، وأن يصرف عنا شياطين الإنس والجن، إنه سبحانه خير مأمول.. وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

البلاء
محنة ومنحة

إعداد:
الشيخ/ فؤاد الشيشتاوي
داعية بدائرة الشؤون الإسلامية - دبي

فإنه مما لا شك فيه أن الابتلاء - خاصة إذا كان بالشر - محنة، إذ هو كرب وضيق، وتعب وهم، وحزن وغم، ونصب ووصب.. ولكنه مع ذلك بالنسبة للمؤمن منحة إلهية، وجائزة ربانية، يصطفي بها الله تعالى أحباءه، ويجتبي بها أصفياءه، قال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: (ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب، ولا سقم ولا حزن، حتى الهم يهمه، إلا كفر به من سيئاته). رواه الشيخان في صحيحيهما. فالمسلم بشر، جبل على الخطأ والتقصير، فقد يأتي محرماً، وقد يترك واجباً، فكان من رحمة الله تعالى به، وإرادته الخير له: أن كتب عليه بعض أنواع البلاء، من مرض أو وجع أو هم أو حزن أو غم ونحو ذلك، ليكفر عنه ما ارتكب من الذنوب والآثام.

والدنيا دار بلاء واختبار، لا يتعدى فيها المرء امتحاناً وبلاءً حتى يقبل عليه آخر، ولا يجتاز عقبة حتى يصطدم بالأخرى، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، بل نص عليه في غير موضع من آية، قال تعالى: ﴿آلم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ وقال أيضاً: ﴿يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾ ، وقال: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات﴾، وقال: جل ذكره: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم﴾.

أما دار الخير المحض، ودار السلام الدائم، ودار النعيم المقيم، فهي جنة الخلد التي وعدها المتقون، وقد سماها ربنا دار السلام، لسلامتها من جميع المنغصات الدنيوية، قال تعالى: ﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾ (الأنعام) فهي دار لا يفنى نعيمها، ولا تنقضي أيامها، ولا يزول شبابها، ولا تنتهي مسراتها، ﴿أكلها دائم وظلها﴾، ليس فيها شيء يسوء أهلها، ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً﴾، ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم﴾.

والناس في هذه الدنيا يبتلون على قدر دينهم، ويتحملون من المتاعب والبلاء ما يكافىء عزائمهم وصبرهم، فأشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (مثل المؤمن كالخامة من الزرع، تفيئها الريح مرة، وتعدلها مرة، ومثل المنافق كالأرزة: لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة). متفق عليه. فالصورة واضحة ظاهرة: المؤمن كثير التعرض للآلام، في نفسه وأهله وماله، وذلك - بلا شك - يرفع قدره عند الله تعالى، ويضاعف أجره، ويكفر سيئاته، ويطهر صفحته، وينقي نفسه. على حين لا يتعرض الكافر أو المنافق للبلاء إلا قليلاً، حتى يقصم الله ظهره، ويأخذه أخذ عزيز مقتدر.

وكان من رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين، أن جعل ما يصيبهم من وجع كثيراً أو قليل، أو تعب، أو حزن، أو هم، أو غم، كفارة لذنوبهم، ومحواً لسيئاتهم، وفي ذلك يروي لنا الإمام مسلم في (صحيحه) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه، إلا حط الله به سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها، ويروي لنا قوله صلى الله عليه وسلم في الحمى: (إنها تذهب خطايا بني آدم، كما يذهب الكير خبث الحديد).

والناس عند نزول البلاء فريقان: مؤمن تقي، وكافر شقي.. وهما لا يلتقيان في دين ولا خلق، ولا قول ولا فعل، ومن هنا كان أمر المؤمن مثيراً لإعجاب كل عاقل، حتى نبه على ذلك حبيبنا صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي في صحيح مسلم إذ قال:

(عجباً لأمر المؤمن! إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن اصابته ضراء صبر، فكان خيراً له).

> من رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين، أن جعل ما يصيبهم من وجع كثير أو قليل، أو تعب، أو حزن، أو هم، أو غم، كفارة لذنوبهم، ومحواً لسيئاتهم

فالإيمان إذا تمكن من القلب كل التمكن، واستولى على النفس كل الاستيلاء، توحدت نظرة المؤمن إلى الأشياء، وتفاعل معها بروح واحدة، لا تذبذب فيها ولا تأرجح، لأن هدفه الأسمى مرضاة الله تعالى، فهو يرى البلاء بالشر كالبلاء بالخير، كلاهما وسيلة اختبار، وطريق عبادة، فما عليه إلا الشكر في السراء، والصبر في الضراء، رضي النفس، غير جزع ولا فزع، هادئ البال، حسن المقال، قال الله تعالى: ﴿وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾. وعلى العكس من ذلك تماماً، حال أولئك الكفار، أو ضعاف الإيمان، فإنهم لا يستقرون على حال، ولا يهدأ لهم بال، فلا النعمة ترضيهم، ولا البلاء ينقيهم، قال تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً. إذا مسه الشر جزوعاً، وإذا مسه الخير منوعاً، إلا المصلين﴾.

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الشاكرين في السراء، الصابرين في الضراء، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

النمل الأبيض

حياة اجتماعية ومهنية هندسية

إعداد:
أحمد محمد آل علي
باحث في العلوم الدينية

اشتمل القرآن الكريم على ثلاث سور سميت بأسماء بعض الحشرات، وهي النحل والنمل والعنكبوت، وفي بعض السور ذكرت حشرات أخرى وهي البعوض والذباب والقمل والجراد. وهناك إشارة تحمل معنى التحدي تتمثل في ضرب مثل بمخلوق ضعيف هو حشرة من مخلوقات الحكيم الخبير تدل على قدرته وحكمته؛ وذلك في قوله جلا وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ﴾. أي أن الله لا يستصغر شيئا يضرب به مثلا ولو كان في الحقارة والصغر مثل البعوضة، كما لا يستنكف عن خلقها وعن ضرب المثل بها.

ومن تلك الحشرات المذكورة في القرآن النملة وهي حشرة صغيرة تعيش في مجموعات ولها مساكن ضعيفة وغالبيتها لا يسبب ضررا مباشرا للإنسان إلا في حالات نادرة حيث يلوث الأطعمة عند مروره عليها بدون قصد، ويفسد المخزون بانتشاره فيه. ويشكل النمل النوع الأكثر عددا على سطح الأرض ويعمل بحيوية ونشاط، يعيش في مستوطنات تحتوي على ذكور مجنحة وعاملات بدون أجنحة وملكات، أما أوكاره فهي محفورة في الأرض وفيها ممرات وغرف للعاملات وأماكن لحفظ الطعام.

ويعد النمل الأبيض من أشرس أنواع النمل حيث إنه يهاجم بمجموعات ضخمة عروق الأخشاب وغيرها من الأشياء التي تدخل في بناء المساكن ويتغذى عليها مما يؤدي إلى انهيارها، هذا النمل يمكن أن يقضي على قرى ومدن بأكملها، ويرى بعض المفسرين أنا المشار إليها في قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾. ولذلك أطلقوا عليها «حشرة الأرضة» أو «دابة الأرض» (White Termite).

وقد عرفت حشرة النمل الأبيض بأنها إحدى أهم الحشرات الاجتماعية التي تعيش في مستعمرات خاصة حيث تقضي معظم حياتها مختفية عن الضوء؛ فلذلك نجدها تتحرك داخل أنفاق طينية تصنعها الشغالات حيث توصل هذه الأنفاق النمل الأبيض إلى المصادر الغذائية. وتعتبر حشرات النمل الأبيض من أهم الآفات الحشرية المنتشرة في المناطق الاستوائية والمدارية، وشبه المدارية والمناطق المعتدلة حيث تتميز بأحجام مختلفة وألوان باهتة، وأجزاء فم قارضة عند الشغالات والجنود؛ بحيث تكون بارزة العوالم عند الجنود، وتوجد العيون المركبة في الأفراد الخصبة. ويمكن تقسيم الأرضة بناءً على علاقتها بالتربة إلى مجموعتين:

أولا: مجموعة تنصيب الأخشاب الرطبة والجافة (ما فوق التربة) (Damp Wood and Dry Wood Termites): يعيش أفرادها دومًا فوق سطح الأرض حيث يتوفر لهم الماء والغذاء، ودومًا تعرف بأن لها أنفاقا طينية طويلة ومتشبعة على عوائلها الغذائية.

ثانياً: مجموعة تعيش داخل التربة (تحت التربة) (Subtrranean Termites): يعيش أفرادها داخل التربة تحت سطح الأرض حيث الغذاء والماء، وترتبط بمستوى الماء الأرضي (Water Table) حيث تحرص هذه الأنواع على أن يكون غذاؤها مخزنًا داخل غرف أو مخازن خاصة بالمستعمرة؛ وذلك من أجل توفير المادة الغذائية اللازمة لحياة الأفراد.

وتتميز هذه الأنواع بأن لها أعشاشًا أرضية فوق سطح الأرض تعتبر سمة لانتشار هذه الأنواع في البيئات المختلفة خصوصًا البيئات الصحراوية.

> يعد النمل الأبيض من أشرس أنواع النمل حيث إنه يهاجم بمجموعات ضخمة عروق الأخشاب وغيرها من الأشياء التي تدخل في بناء المساكن ويتغذى عليها

وأوضحت الدراسات الحديثة أنه يعيش اليوم أكثر من ألفي نوع من حشرات النمل الأبيض في مختلف أنحاء الكرة الأرضية، يستوطن أكثر من (٩٠٪) منها في المناطق الاستوائية، في حين لا نجدها في الدائرتين القطبيتين الشمالية والجنوبية؛ ففي المملكة العربية السعودية سجل انتشار (١٨) نوعًا من الأرضة تتبع (١٠) أجناس تنتمي إلى أربع فصائل من رتبة «متساويتا الأجنحة» (Isoptera). مستعمرات الأرضة (Termite Colonies): وتعيش الأرضة في مستعمرات، كل مستعمرة عبارة عن عش أو عدة أعشاش تكوِّن مجتمعًا واحدًا يشكل وحدة اجتماعية متكاملة؛ إذ تضم مستعمرة الأرضة عدة طوائف (Castes) تختلف فيما بينها بحسب الشكل والوظيفة والقدرة على التناسل؛ فالملكة تتربع على عرش المستعمرة، وملك له وظيفة تلقيح الملكة، ومن ثم متناسلون إضافيون يعوضون فقدان الملكة أو الملك عند ضعفهما أو موتهم، وتنتهي المستعمرة بالجنود الذين يتميزون بالقوة الجسدية والفكوك البارزة إلى الشغالات ذات الأجسام الصغيرة والفكوك الصغيرة والقوية؛ إذ يعزى إليها تغذية جميع أفراد المستعمرة.

بركان آيسلندا
الدلالات والعبر

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات الكونية كثيرة، ككثرة البشر والشجر، وتتكرر آناء الليل وأطراف النهار، وهي ناطقة بلسان حالها قائلة: إن للكون مدبرا يتصرف فيه بحكمة، تعجز العقول عن إدراكها، يتصرف سبحانه فيه كيف يشاء ومتى يشاء، لا يُسأل عما يَفعل، و لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، وهو اللطيف الخبير. وفي كل شيء لـه آيةٌ تدل على أنه الواحد. وقد تعب العلماء وأنفقوا الساعات الكثيرة، والمليارات الوفيرة، ليعرفوا سر انفجار الكون، وهو من فضول العلم الذي لا ينفع، لأن الجهل به لا يضر، ولو أنهم فعلوا ذلك أو أكثر منه لحماية كوكب الأرض من عبث قاطنيه به و إفسادهم فيه، واكتشاف مخبآته و مخزون خيراته، وتلافي فواجعه المدمرة؛ لكان خيرا لهم.

ها هي الكوارث تلو الكوارث تحدث في الآفاق، وتعم الطباق، بلا مقدمات تذكر ولا استكشافات تؤثر، مع تقدم علم الأرصاد في استشراف التنبؤات، إلا أن علماءه لم يكتشفوا هذه الكارثة التي زادت الطين بلّة في تأخر عجلة الاقتصاد العالمي، بعد زلزاله المدمر الذي أرّق كل فرد في العالم أجمع، و كأننا لسنا في عالم فضاؤه مستباح بالأقمار الصناعية التي تكتشف ما في الأعماق!، فلماذا لم تكتشف هذا البركان الذي لم يبدُ منه إلا دخانه، فكيف لو تطاير حَممُه؟! كيف سيكون وقعه وأثره؟ مع دعائنا جميعا: اللهم سلّم سلّم. لماذا لم تكتشفه لتُعدَّ شركات الطيران لنزلائها الفنادق غير المكلفة، ولروادها الأسعار المناسبة، حتى تبقي لهم شيئا من متاع يتزودون به إلى حين؟ حقاً إن العلم لم يصل ليكتشف مخبآت الكون قبل حدوثها، بينما بعض الحيوانات تستشعر الزلازل والبراكين فتحمي نفسها بالفرار قبل خراب الديار، ونعلم من ذلك صدق قوله سبحانه: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾. لقد سألتني سيدة من لندن عبر الفضاء في إحدى حلقات برنامج «نفحات» قبل أسابيع عن مصير أبنائنا إذا توقفت التكنولوجيا؟ فاستغربت سؤالها؛ لأنه يستبق الأحداث، وقد كان السلف يكرهون المسائل قبل وقوعها، ويقولون: إن المسألة إذا وقعت أعان الله تعالى عليها، إلا أني لم أ تردد أن قلت: إن الله تعالى سيهيئ لهم أسباب الحياة، فلكل زمان دولة ورجال.

و أرى أن ذلك اليوم الذي يتباعد فيه هذا العالم المتقارب، إلى أرجاء بعيدة المنال، تنقطع فيه أعناق المُطيّ، ووسائل الاتصال الفضائي؛ لا أراه بعيدا، وهذه الكارثة التي تقطعت فيها سُبُل المشارق عن المغارب أقرب دليل على ذلك، ومع ما فيها من مرارة الخسران، وتعطل الإنسان في أرجاء الأوطان إلا أنها تعطي البشرية درسا إيمانيا؛ تبصرها فيه بقوة المليك المقتدر، الذي أخبرنا في محكم كتابه، أنه سيأتي يوم تُرج فيه الأرض رجا، وتُبسُّ فيه الجبال بَسّاً، فتكون هباءً مُنبثاً، ويكون الناس فيه ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾.

فهل ترى أيها القارئ الكريم أن ذلك اليوم بعيد؟ لا أظنك ترى ذلك وأنت ترى الأرض قد ازّينت وأخرجت ثمراتها وأنبتت من كل زوج بهيج، ولعل قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ يصدق على دنيانا اليوم، نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

الدكتور: أحمد بن عبدالعزيز الحداد
كبير مفتين – مدير إدارة الإفتاء
دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

دورة حياتها

ودورة الحياة عندها تتعلق بالمدينة التي تبنيها أو ما يطلق عليه تكوين المستعمرة (Life Cycle - Colony Formation) حيث تبدأ دورة حياة المستعمرة عندما يقوم الملك بتلقيح الملكة، ثم يلي ذلك أن تضع الملكة البيض حيث يتم احتضان البيض لمدة أسبوعين تحت إشراف الشغالات، وبعد التفقيس تظهر الحوريات اللاتي تتم تغذيتهن بالطعام الممضوغ بواسطة الشغالات لمدة أسبوعين، وتمر الحوريات بسلسلة من مراحل النمو قبل أن تنمو إلى إحدى الطبقات التالية:

- الشغالات من البيض الملقح.
- الجنود من البيض غير الملقح.
- المتناسلون الإضافيون. وفي مواسم مناسبة (بعد هطول الأمطار مثلاً) ينطلق المتناسلون الإضافيون في حشود كبيرة خارج المستعمرة، ويختار كل طرف الطرف الآخر ليكونان معًا مستعمرة جديدة فيهما الملك والملكة.

منشئ ناطحات السحاب

يقول هارون يحيى: ففي قرى النمل الأبيض نجد غرفا للصغار وأقساما لإنتاج الفطر وغرفة للملكة، وهذا كله ليس سوى جزء من هذا التصميم الرائع، والأغرب من هذا كله أنه يوجد في عش النمل الأبيض نظام خاص للتهوية، فالنمل في حاجة إلى الهواء الرطب لأن جلودها رقيقة جدا، ولهذا السبب فإن عش النمل يحتاج إلى أن يكون على درجة معينة من الحرارة ومن الرطوبة في الوقت نفسه، ويكون هذا النمل مهددا بالموت إذا اختل هذا الترتيب فالقنوات التي يبنيها هذا النمل تسمح للهواء بالتنقل داخل العش، كما أنه يستخدم الماء الذي يصل إليه عبر الأنفاق التي يشيدها تحت الأرض ويعدل الحرارة والرطوبة بواسطته.

ولاشك أن التفكير في كل هذا التوازن لم يأت من فارغ بل لا بد من خطة معدة مسبقا ومجهزا على تطبيقها في أي مكان وأي زمان

وهذه الخبرة لا يمكن أن تأتيه من تجارب الحياة بل لا بد أن تكون مستقرة في نفسه مهيأ على استعمالها تتوارثها الأجيال بشكل متواصل، فهذه الأعشاش تبني منذ ملايين السنين بالطريقة ذاتها مما يجعلها وحيا أوحاه الله إليها لتعيش به.

> يوجد في عش النمل الأبيض نظام خاص للتهوية، فالنمل في حاجة إلى الهواء الرطب لأن جلودها رقيقة جدا، ولهذا السبب فإن عش النمل يحتاج إلى أن يكون على درجة معينة من الحرارة ومن الرطوبة في الوقت نفسه

وقد تصل أعشاش النمل الأبيض في بعض الأحيان إلى سبعة أمتار، وعندما يحدث كسر في الجدار ينطلق إنذار سريع ينبه إلى هذا الأمر، ويضرب الحراس الجدار برؤوسهم إعلانا بوقوع الخطر، ويعلمون جميع من في المستعمرة بالوضع، ويتم إبعاد الفراخ الصغيرة إلى مكان آمن بعيدا عن العش، وبسرعة يتم إغلاق الممر المؤدي إلى غرفة الملك والملكة بجوار خاص، ويهب قسم العساكر من النمل الأبيض ويحاصر المكان المتهدم، وفي خلال ساعات قليلة يتم إغلاق القسم المتهدم بكومة من التراب، واثر ذلك يشرع العمل في إنشاء القسم الداخلي، ويتحرك النمل الأبيض وفق تخطيط محكم، وكل فرد يقوم بوظيفته المناطة به دون وقوع أي خلط أو اضطراب.

إن قدرة النمل الأبيض على القيام بجميع هذه الأعمال في فترة قصيرة للغاية يكشف لنا أن هناك نظاما متكاملا للتخابر فيما بين أفرادها غير أن هناك معلومات أخرى مدهشة تتعلق بالنمل الأبيض. فهذه الكائنات الحية التي صممت كل هذا النظام، شيدت ما يمكن أن نطلق عليه (ناطحات سحاب) ووضعت إجراءات أمنية صارمة لحماية أبنائها هي كائنات عمياء!!

لغتها وطريقة تخاطبها

يستخدم النمل الأبيض اللغة الكيميائية داخل المستعمرة (Sociochemicals of Termites)؛ من أكثر الدراسات المعروفة في استخدام اللغة الكيميائية داخل المستعمرة عرفت في الأنواع الأرضية التابعة لفصيلة (Rhinotermitidae)؛ فقد عرف أن الملكة تفرز مادة كيميائية فرمونية (Inhibitor Pheromones)؛ لتجعل المستعمرة في حركة ذاتية حيث يتم فرز هذا الفرمون من غدد خاصة بالرأس أو الصدر، ثم يتحرك وينتشر عبر القناة الهضمية، ويخرج مع فتحة الأست (Anus) حيث تستقبل هذه المادة الفرمونية مجموعة متخصصة من الشغالات تقوم بامتصاصه من فتحة الأست، وتوزعه عبر فمها إلى فم أفراد المستعمرة لتخبر أفراد المستعمرة بأن الملكة ما زالت مهيمنة على المستعمرة، وأيضًا لها القدرة العالية على وضع البيض الذي يتراوح عدده من ألفين إلى ثلاثة آلاف بيضة في اليوم طوال فترة حياتها التي قد تستمر إلى سنوات طويلة تصل إلى عشر سنوات فأكثر.

أما الجنود فلهم القدرة على إنتاج نوع آخر من المواد الفرمونية، ويسمى بـ«فرمون الإنذار المبكر» (Alarm Pheromones)، ويستجيب لهذا النوع من الفرمونات أفراد الجنود المستعمرة؛ وذلك للدفاع عن المستعمرة في حالة حدوث أي خطر يصيب هذه المستعمرة، ويفرز هذا الفرمون من غدة جربية موجودة في مقدمة الرأس.

أما الشغالات فلها القدرة على إنتاج نوع من الفرمون يسمى بـ«فرمون التتابع» (Trial Pheromones) ويفرز من غدة موجودة على السطح البطني للجسم (العقلة البطنية الرابعة أو الخامسة)؛ بهدف الوصول إلى المصدر الغذائي، ونقله إلى المستعمرة.

أضرارها الاقتصادية

النمل إحدى أهم الآفات الحشرية بنوعيها (قاطنة التربة أو قاطنة المجموع الخضري) .وعرف عن هذه الحشرات بأن لها أضرارًا جسيمة إذ تحدث خسائر فادحة من جراء تغذيتها على المواد السليولوزية للأخشاب، وسطوح المنازل الخشبية ،وجذوع الأشجار وجذورها، وأعمدة التليفونات والأثاث، والأقمشة والمفروشات، والخيش والموكيت، والورق والكرتون، والحبوب المخزونة.

> إن قدرة النمل الأبيض على القيام بجميع الأعمال في فترة قصيرة للغاية يكشف لنا أن هناك نظاماً متكاملاً للتخابر فيما بين أفرادها

كما عرف عنها بأنها تتغذى على المادة النباتية الحية؛ إذ تلتهم في الحقول والبساتين، والمراعي ومشاتل أشجار الزينة، والمحاصيل، مثل:الذرة الشامية والذرة الرفيعة والفول السوداني.

وأيضًا الخضار والفلفل الحلو والحار، والطماطم والباميا والباذنجان، وكثير من محاصيل الفواكه المختلفة. وبسبب هذه التغذية تتلف شغالات الأرضة القوة البنائية للخشب (Structural Strength) وتضعفها. ومن المفارقات المضحكة والمبكية أن صاحب الدار لا يراها إلا بعد أن يكون ضررها قد استفحل؛ وذلك بسبب سلوكها المتخفي الماكر.

وتصل بعض الأحيان تكلفة مكافحتها ملايين الدولارات، وقد ثبت في بعض الإصابات أن التقديرات المادية لمكافحتها لا تصدق، بل إنها تفوق التكلفة الأساسية لتشييد المبنى.

الأهمية الاقتصادية والبيئية

يظن الكثير من الناس أن هذه الدويبة لا هم لها إلا الهدم؛ والأمر ليس كذلك؛ فللأرضة دور هام ورسالة عظيمة تؤديها في الطبيعة ومن ذلك ما يلي:

أولا:

فهي من الناحيتين البيئية (Ecologyy) والإحيائية (Biological) تلعب دورًا هامًا في دورة المادة العضوية (Organic Or Nutrient Cycle)؛ فمن رحمة الله أن تتضافر الأرضة وكائنات أخرى لتتخلص من أكوام النفايات والمخلفات خاصة تلك التي تشتمل على مواد سليلوزية، مثل: سعف النخيل والأخشاب والكرتون؛ فهي تحلل هذه المواد التالفة، وتعيد عناصرها الأساسية إلى التربة مرة أخرى؛ مما يساعد في تقوية التربة وإثرائها بالمعادن والعناصر المعدنية الهامة.

ثانيا:

في أثناء مهاجمة الأرضة للمواد السليلوزية داخل التربة من أخشاب وجذور نباتية وجذوع الأشجار تحدث أنفاقًا وممرات؛ ومن ثم تساعد في تهوية التربة.

ثالثا:

تحسن من الخواص؛ مما يساعد على التركيبة الميكانيكية للتربة، وتيسر تخلل الماء داخل التربة.

رابعا:

تفسح المجال لدخول الديدان الأسطوانية والفطريات والبكتريا إلى داخل التربة.

خامسا:

إن إفرازات الأرضة ونفاياتها تساهم في تحسين الخواص الكيميائية للتربة، فسبحان الخالق المبدع.

الوعي البيئي
ضرورة إسلامية

د./ وائل محمد زكير
من نشطاء حماية البيئة
جامعة الخليج

جاء في الحديث النبوي: «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة». الواقع أن القول بأن محمدا رائد من رواد الحفاظ على البيئة سوف يقع في آذان الكثيرين في البداية موقعا غريبا، إذ لا شك أن مصطلح (الحفاظ على البيئة) وما يرتبط به من مفاهيم مثل (البيئة) و(الوعي البيئي) و(ترشيد الاستهلاك) هي ألفاظ من اختراع العصر الحديث، أي مصطلحات صيغت لتواجه الاهتمامات المتزايدة بالوضع الراهن لعالم الطبيعة من حولنا.

ومع ذلك فإن قراءة الأحاديث النبوية عن قرب، أي تلك الروايات المتعلقة بالأحداث الهامة في حياة محمد صلى الله عليه وسلم، لَتُرِينا أنه كان واحدا من أشد المنادين بحماية البيئة. بل إن بمستطاعنا القول إنه كان في نصرته للبيئة سابقا لعصره، أي رائدا في مجال المحافظة على البيئة والتطور الرشيد والإدارة الحكيمة للموارد الطبيعية، وواحدا من الذين يَسْعَوْن لإقامة توازن متناسق بين الإنسان والطبيعة.

وبالاستناد إلى ما أوردته لنا الأحاديث من أعماله وأقواله يمكننا القول بأن محمدا كان يتمتع باحترام عميق لعالم النباتات والأزهار وأنه كان على صلة حميمة بعناصر الطبيعة الأربعة: التراب والماء والنار والهواء.

لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم من الدعاة الأقوياء للاستخدام الرشيد للأرض والماء واستثمارهما، وكذلك المعاملة الكريمة للحيوانات والنباتات والطيور، والحقوق المتساوية لمن يتعاملون معها من البشر. وفى هذا السياق فإن حداثة رؤيته للبيئة وحداثة المفاهيم التي جاء بها في هذا المجال لما يَشْدَه العقل شَدْهًا، حتى لتبدو بعض أحاديثه وكأنها مناقشات عصرية حول قضايا البيئة.

المبادئ الثلاثة

إن فلسفة محمد صلى الله عليه وسلم البيئية هي أولا وقبل كل شيء فلسفة شاملة مترابطة، إذ تقوم على أن هناك صلة أساسية وارتباطا متبادلا بين عناصر الطبيعة، كما أن نقطة انطلاقها هي الإيمان بأنه إذا أساء الإنسان استخدام عنصر من عناصر الطبيعة أو استنزفه استنزافا فإن العالم الطبيعي برُمَّته سوف يضارّ أضرارا مباشرة. على أن هذا الاعتقاد لا يُنَصّ عليه في حديث واحد نصا مباشرا، بل يمثل بالأحرى المبدأ الذي تنهض عليه جميع أقوال محمد وأفعاله. إنه فلسفة حياته التي على ضوئها نستطيع أن نبصر ملامح شخصيته.

إن أهم ثلاثة مبادئ في الفلسفة المحمدية المتعلقة بالطبيعة تقوم على تعاليم القرآن ومفاهيم الوحدانية وخلافة البشر والثقة في الإنسان. ويمثل التوحيد حجر الزاوية في دعوة الإسلام، وهذا التوحيد يراعي الحقيقة التي تقول بوجود خالق واحد للكون وأن الإنسان مسئول أمامه عن أعماله: «لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (المائدة: ١٢٠).

ويقر محمد بأن علم الله وقدرته يشملان كل شيء، ومن ثم كانت الإساءة إلى أي مخلوق من مخلوقاته، سواء كان كائنا حيا أو مصدرا من مصادر الطبيعة، ذَنْبًا من الذنوب يجازَى الإنسان عليه. وفى اعتقاده أن جميع مخلوقات الله متساوية أمامه سبحانه، وأن الحيوانات، وكذلك الأرض والغابات وينابيع المياه، ينبغي أن يكون لها حقوق تُحْتَرَم.

أما مفهوما الخلافة البشرية في الأرض والثقة في الإنسان فينبعان من مبدأ الوحدانية. ويوضح القرآن أن الإنسان يتمتع بوضع متميز بين مخلوقات الله

على الأرض، إذ اصطفاه ليكون خليفة فيها وينهض بمسؤولية العناية بغيره من مخلوقات هذا الكوكب. وهذا واجب كل فرد فينا ووجه تميُّزه، ومجلى الثقة به. ورغم هذا نرى القرآن مرارا وتكرارا ينهى الإنسان عن الكبْر منبها إياه إلى أنه ليس أفضل من سائر المخلوقات: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ» (الأنعام: ٣٨).

وكان محمد صلى الله عليه وسلم يؤمن بأن الكون بما فيه من مخلوقات: حيوانات كانت هذه المخلوقات أو نباتات أو مياهًا أو أرضين، لم تُخْلَق لتكون للبشر. صحيح أن لهم الحق في استخدام موارد الطبيعة، إلا أنهم لا يمكنهم أن يتملكوها تملُّكًا. ومن هنا ففي الوقت الذي يسمح الإسلام للإنسان بحيازة الأرض نراه يضع حدودا لذلك: فعلى سبيل المثال يمكنه أن يحوز الأرض فقط طالما كان يستعملها، لكنه ما إن يكفّ عن هذا الاستعمال حتى يصبح واجبا عليه التخلي عن هذه الحيازة.

ويعترف محمد صلى الله عليه وسلم بمسؤولية الإنسان أمام ربه، بيد أنه كان دائما وأبدا يدعو إلى التواضع، ومن ثَمّ نراه يقول: «إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسلة فليغرسها»، فهو هنا يبين أنه، حتى عند انتفاء كل أمل لدى للبشر، على الفرد أن يحافظ على نمو الطبيعة. لقد كان مؤمنا بأن الطبيعة حسنة في ذاتها حتى لو لم يستفد البشر منها.

وبالمثل نراه يحض أتباعه على التشارك في موارد الطبيعة، إذ يخاطبهم قائلا: «المسلمون شركاء في ثلاث: الماء والكلا والنار». كما يعد حرمان العطشان من الماء إثما يعاقَب عليه: «من منع فضل مائه أو فضل كلئه منعه الله فضله يوم القيامة».
والواقع أن موقف محمد تجاه الاستعمال الرشيد للأرض والمحافظة على الماء والطريقة التي كان يعامل بها الحيوانات هو دليل آخر على التواضع الذي يصبغ فلسفته حول البيئة.

الاستخدام الرشيد للأرض

«جُعلت لي الأرض مسجدا وطهورا». في هذا الحديث يؤكد محمد الطبيعة المقدسة للأرض أو التربة، لا بوصفها ذاتا طاهرة فحسب، بل بوصفها مادة مُطَهِّرة كذلك. ويَظْهَر أيضا هذا الاحترامُ للأرض في شعيرة التيمم التي تجيز للمسلم استعمال التراب في الطهارة الواجبة عند الصلاة في حالة فقدان الماء.

وينظر محمد صلى الله عليه وسلم إلى الأرض على أنها مسخَّرة للإنسان، لكن لا ينبغي له مع ذلك أن يفرط في استخدامها أو يسيء استعمالها، كما أن لها ذات الحقوق التي للأشجار والحيوانات البرية التي تعيش فوقها. ومن أجل المحافظة على الأرض والغابات والحيوانات البرية جعل محمد عددا من المحميات، أي الأماكن التي يحرم فيها استعمال الموارد الطبيعية، وهو ما لا يزال معروفا إلى اليوم، إذ هناك مناطق ممنوعة حول بعض الآبار وعيون الماء غايتها حماية المياه الجوفية من الاستهلاك المفرط والنفاد. ومنها المناطق الخاصة بالحيوانات البرية والغابات حيث يُمْنَع الرعي وقطع الأشجار أو يحرم التعرض لأنواع معينة من الحيوانات.

ولم يشجع محمد صلى الله عليه وسلم فقط الاستعمال الرشيد للأرض، بل لفت أنظار أتباعه أيضا إلى المكاسب التي يجنيها الإنسان من إحياء الأرض البور، إذ جعل زرع شجرة أو غرس بذرة أو سَقْي أرض عطشى من أعمال البر والإحسان: «من أحيا أرضا ميتة فله فيها أجر». وعلى هذا فأيما شخص ساق الماء إلى قطعة أرض قاحلة فهي له.

المحافظة على الماء

في البيئة الصحراوية الخشنة التي كان يعيش فيها محمد يُعَدّ الماء مرادفا للحياة، فهو نعمة من الله، بل هو أصل الحياة كما يشهد بذلك القرآن: «وجعلنا من الماء كل شيء حي» (الأنبياء: ٣٠). ويذكِّر القرآن المسلم على الدوام بأنه خليفة الله في الأرض، لكن لا ينبغي له مع ذلك أن يأخذ الأشياء المخلوقة على أنها أمرٌ مسلَّمٌ به: «أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ× أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ× لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ» (الواقعة: ٦٨- ٧٠).

كذلك كان الاقتصاد في الماء والمحافظة على طهارته قضيتين مهمتين عند محمد. ولقد رأينا كيف أدى اهتمامه بالاستخدام الرشيد للماء إلى إقامة المحميات بالقرب من ينابيعه. وحتى عندما يكون الماء متوفرا نراه ينصح بالاقتصاد في استعماله. ومن ذلك نهيه عن غسل أعضاء الوضوء أكثر من ثلاث مرات حتى لو كان المتوضئ على نهر جار. ويضيف البخاري قائلا: «وكره أهل العلم الإسراف فيه وأن يجاوزوا فعل النبي صلى الله عليه وسلم». وبالمثل نهى محمد عن تلويث المياه، وذلك بمنع التبول في الماء الراكد.

معاملة الحيوانات

يقول محمد صلى الله عليه وسلم: «من قتل عصفورا فما فوقها بغير حقها سأل الله عز وجل عنها يوم القيامة». وهو حديث يعكس إجلال محمد صلى الله عليه وسلم

> أهم ثلاثة مبادئ في الفلسفة المحمدية المتعلقة بالطبيعة تقوم على تعاليم القرآن ومفاهيم الوحدانية وخلافة البشر والثقة في الإنسان. ويمثل التوحيد حجر الزاوية في دعوة الإسلام، وهذا التوحيد يراعي الحقيقة

واحترامه وحبه للحيوانات. ذلك أنه كان يعتقد أنها، بوصفها خلقا من خلق الله، ينبغي أن تحظى بمعاملة كريمة، ففي الأحاديث النبوية عدد ضخم من الروايات والتوجيهات الخلقية والقصص التي ترسم لنا صورة عن علاقته بالحيوانات. وبعض هذه القصص ترينا أنه كان يهتم اهتماما خاصا بالإبل والخيول؛ فهما في رأيه نعم الرفيق في الأسفار والحروب، كما كان يجد كثيرا من الراحة والحكمة في صحبتهما حسبما يقول لنا الحديث التالي: «الخيل معقودٌ بنواصيها الخير إلى يوم القيامة».

وحتى في ذبح الحيوان نجده يبدى قدرا عظيما من الرقة والمرحمة. وعلى الرغم من أنه لم يكن نباتيا فإن الأحاديث تبين لنا بوضوح أنه كان حساسا للغاية تجاه معاناة الحيوانات حتى لكأنه كان يشاركها ألمها مشاركة وجدانية. ومن هنا نجده يأمر باستعمال سكين حاد في الذبح وأتباع طريقة مسؤولة من شأنها أن تزهق روح الحيوان سريعا بحيث يخف ألم الذبيحة إلى أقصى درجة ممكنة. كما نهى عن ذبح أى حيوان أمام غيره من الحيوانات أو إحداد الشفرة بحضرته، وإلا فكأنه قد ذبحه مرتين حسبما جاء فى حديثه لمن كان يُحِدّ شفرته فى حضور ذبيحته، إذ قال له مستنكرا: «أتريد أن تميتها موتتين؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها؟». لقد كان يكره ذلك كراهية شديدة.

وختاما، نقول إنه من المستحيل إيفاء المدى الذي بلغته فلسفة محمد صلى الله عليه وسلم البيئية، وكذلك الأهمية التي تستأهلها، حقهما فى هذه المقالة القصيرة، فرؤيته الشاملة للطبيعة وفهمه لمكان الإنسان داخل العالم الطبيعى هما رؤية وفهم رائدان في مجال الوعي البيئي لدى المسلمين.

وللأسف فإن الانسجام الذي دعا إليه محمد صلى الله عليه وسلم بين الإنسان وبيئته قد تم تجاهله في أيامنا هذه إلى حد بعيد. وفى الوقت الذي نواجه فيه آثار التلوث والإسراف في استخدام موارد الطبيعة والتصحير وشح الماء في بعض الأماكن في العالم مع المعاناة من الفيضانات والعواصف في غيرها من الأماكن ربما يكون من الملائم بالنسبة لنا جميعا: مسلمين ونصارى ويهودًا وهندوسًا وبوذيين وملاحدةً أن نأخذ ورقة من كتاب محمد ونواجه الأزمة البيئية الحاليّة بجِدٍّ وحكمة.

من أسماء الله الحسنى

المهيمن

بقلم
الربان قاسم لاشين
رئيس جمعية الفلكيين العرب

حث الله المهيمن عباده على النظر والتدبر والتفكر لمعرفة الكون العظيم وهو كتاب الله المنظور وبما جاء من آيات في القرآن الكريم وهو كتاب الله المقروء، وذكر الإعجاز العلمي داخل الإعجاز اللغوي البياني وقد أمرنا الله المهيمن على ذلك بما أشارت إليه الآية الكريمة ١٠١ من سورة يونس: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾ صدق الله العظيم

فإذا نظرنا إلى كوكب الأرض الذي نعيش فيه نجده ساكناً وثابتاً ومستقراً دون أن نشعر بأي حركة له سوى الرؤية العلمية لتعاقب الليل والنهار، والرؤية العلمية لتعاقب الفصول الأربعة، والحقيقة العلمية أن لكوكب الأرض أربع سرعات فالسرعة الأولى هي دوران الكوكب حول محورها مرة كل ٢٤ ساعة بسرعة تصل إلى ١٠٤٤ ميلاً/ساعة، وينتج عن هذه الحركة اختلاف الليل والنهار، وهو من الآيات الكونية. ثم مع الحركة اليومية تحدث إزاحة لكوكب الأرض على مدار بيضاوي المسار حول الشمس مرة كل سنة شمسية بسرعة تصل إلى ٦٧ ألف ميل/ساعة. وينتج عن هذه الحركة السنوية الفصول الأربعة، والأرض تتبع الشمس التي تدور بدورها حول نواة المجرة بسرعة تقدر بحوالي ٤٩٧ ميلاً/ساعة، وذلك خلال سنة كونية تقدر بحوالي ٢٥٠ مليون سنة أرضية، ثم مجرتنا درب التبانة بما فيها من شموس، وكواكب، وأقمار تجري في الفضاء الكوني بسرعة قدرها العلماء بمقدار ٤٣ ألف ميل/ساعة، وهي تجري في ذلك نحو نجم النسر الواقع وهو إتجاه الشمال الحقيقي الجديد الذي يشير إليه محور الأرض بعد مائة ألف سنة حيث يشير المحور حاليا إلى النجم القطبي أحد نجوم الدب الأصغر، كل هذه التحركات، وهذه السرعات، كشف عنها العلم الحديث ولكن هل فكر الإنسان كيف لا نشعر بالدوار أو الإغماء نتيجة هذه الحركات السريعة التي يجري بها كوكب الأرض؟ بل يبقى على سطح الأرض أمنا مستريحا لا تتمزق أوصاله ولا تتناثر أشلاؤه ولا يرتج المخ، ولا يهوى في الفضاء إنه هو الله المهيمن على عمارة الكون التي لا حدود ولا نهاية لها، ونوجه أسئلة إلى كفار اليوم من المهيمن على القوانين الكونية التي تسيطر على حركة الكون بما يحتويه من مخلوقات كونية مثل الشموس والكواكب والأقمار والنيازك دون أن يحدث أي تصادم فيما بينها إلا بما أمر المهيمن به لنعلم ونتعلم فيما حدث لكوكب المشتري في يوم ١٦ يوليو ١٩٩٤م حينما تم ضرب الكوكب العملاق بواسطة المذنب شوميكر-ليفي وتقابل هذه الضربة بما يزيد عن مائة قنبلة نووية ليعلم العلماء بهذه الكارثة وليبلغوا بني البشر بأن ما حدث لكوكب المشتري قابل للحدوث على كوكب الأرض ونحن على موعد مع المذنب هالي في ٢٠٦٢ ولنتذكر أن الله هو المهيمن العزيز الجبار وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة ٢٣ من سورة الحشر ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون﴾ صدق الله العظيم.

> أعظم وأجمل شعور يصدر عن النفس البشرية هو ما كان نتيجة التطلع والتفكر والتأمل في هذا الكون العظيم وأبعاده التي فشل علم الرياضيات في تحديده، أن الذي لا يتحرك شعوره نتيجة هذا التأمل لهو الحي الميت

القادر

يعلم أعلم علماء هذا العصر أن ملكوت الله الواسع يسيطر عليه الإله القادر جل شأنه وحده لا شريك له في ملكه ولا مساعد له في قدرته لأن القادر ذا الجلال والإكرام هو الذي خلق القوى الكونية التي تسخر القوانين الكونية ولقد عجز العلماء عن تحديد أبعاد عمارة الكون الذي نعيش فيه، ويكون السؤال الأول هل نحن وحدنا في عمارة هذا الكون الواسع؟ ولقد أفاد العلماء حديثاً بأنه يوجد قرابة ٣٠ مليون كوكب يتشابه مع كوكب الأرض وذلك طبقا لنظرية الاحتمالات، وبعد أن قدروا أن المجرة بها قرابة مائة ألف مليون

مجموعة شمسية وأن الكون الواحد به مائة ألف مليون مجرة ويقف العلم بآخر إمكانيات الرصد وآخر ما يمكن حسابه بعلم الرياضيات وآخر أجهزة الكمبيوتر العملاقة حيث يوجب عدد من الأكوان لا يمكن لأجهزة البشر أن تقوم بحصرها ولهذا أشار الله القادر على أنه رب العالمين حيث أن كلمة (العالمين) هي الجمع المطلق لكلمة العوالم. لقد حاول الإنس اختراق أقطار السموات والأرض تنفيذا لما جاء في كتاب الله في الآية الكريمة ٢٣ من سورة الرحمن (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) صدق الله العظيم. والسلطان تحمل معنى الإذن من الله القادر كما تحمل معنى سلطان العلم الذي يفتح به الله القادر على العلماء بالاجتهاد وانطلاق يدهم بمقدار انطلاق فكرهم وليس بانطلاق ألسنتهم وكانت أولى الرحلات التاريخية للإنس هي وصوله إلى سطح القمر في يوم ٢٠ يوليو ١٩٦٩م بواسطة مركبة الفضاء أبوللو ١١. ثم تلتها برحلة أبوللو ١٧ في ٧ ديسمبر ١٩٧٢م وكانت هذه آخر وأطول إقامة على سطح القمر وحينما استكبر الإنسان بما فتح الله عليه بالعلم جاءت رحلة تشالنجر في ١٢ يناير ١٩٨٦م فإنفجرت المركبة بما فيها من رواد الفضاء بعد ٧٠ ثانية لأن العلماء نسوا أن السلطان من الله العلي القادر فجاء اسم مركبة الفضاء هو تشالنجر أي بالاسم العربي المتحدي فأي تحد هذا للإنس الذين نسوا أن القادر هو الله؟ أما مركبة الفضاء فوايا جور ٢ والتي أطلقت في ٢٠ أغسطس ١٩٧٧م وليس بها رواد فقد قامت بزيارة إلى كل من المشترى وزحل وأورنس ونبتون ثم انطلقت من هذا التاريخ خارج المنظومة الشمسية سابحة في الفضاء الكوني الخارجي لتذيع على العالم الخارجي بعدد ٨٤ لغة منها اللغة العربية (نحن أهل كوكب الأرض نود أن يتصل بنا من يسمعنا) وإلى الآن لم تصل إجابة سوى تشويش غير معلوم المعنى ولا تنتهي أحلام العلماء عند هذا الحد فهم في طريقهم لعملية رحلة يقودها رواد الفضاء إلى كوكب المريخ لدراسة إمكانية الحياة على هذا الكوكب الذي يتشابه مع كوكب الأرض، أما غزو النجوم فالحقيقة العلمية التي يجب أن نعرفها هي أننا لا نرى من النجوم إلا ماضيها فقط ولا نعرف من حاضرها أي شيء وأقرب نجم إلينا هو الشمس التي لا نراها إلا بعد ٨,٣ دقيقة من شروقها وذلك بعد أن تقطع أشعة الشمس بسرعة الضوء المسافة

المتوسطة التي بيننا وبينها وتقدر بـ ٩٣ مليون ميل وبالتالي لا يمكن أن نرى شروق الشمس في حينه وكذلك أقرب نجم لنا بعد الشمس وهو الفاقنطورس يحتاج الأمر إلى ٤,٥ سنة حيث نرى هذا النجم في ماضيه فقط أما الله القادر عالم الغيب والشهادة فهو خالق هذه النجوم وبالتالي فإنه يعرفها بأفعالها الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل وبالتالي فإن رحلات النجوم ذهاب بدون عودة وينتهي أعلم علماء عصره العالم (اينشتين) ذو العقيدة اليهودية بإنه آمن بوحدانية الله القادر على هذا الكون الفسيح وجاء في كلمته التي سجلها التاريخ.

(إن أعظم وأجمل شعور يصدر عن النفس البشرية هو ما كان نتيجة التطلع والتفكر والتأمل في هذا الكون العظيم وأبعاده التي فشل علم الرياضيات في تحديده، أن الذي لا يتحرك شعوره نتيجة هذا التأمل لهو الحي الميت. أن خفاء الكون وبعد أغواره وحالك ظلامه يخفي وراءه أشياء كثيرة ولا تستطيع عقولنا القاصرة أن تدركها إلا في صور بدائية أولية وهذا الإدراك للحكمة هو جوهر العبادة عند بني البشر. إن ديني هو ايماني الكامل والعميق بوجود قدرة واحدة مهيمنة تتراءى حيثما نظرنا في هذا الكون المعجز للأفهام. إن هذا الإيمان يوجد عندي معنى الله القادر على كل هذا الخلق). وإذا كان الله هو خالق هذا العلامة الذي وضع النظرية النسبية ونظرية انشطار الذرة وغيرها من النظريات العميقة فإن ذلك يحتم علينا أن تتذكر قول الله تعالى في سورة يوسف الآية ٧٦: ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ صدق الله العظيم.

> يعلم أعلم علماء هذا العصر أن ملكوت الله الواسع يسيطر عليه الإله القادر جل شأنه وحده لا شريك له في ملكه ولا مساعد له في قدرته

د. أحمد زويل:

فوائد العلم (الشرعي والكوني) يدل الانسان على الإيمان بالله إيماناً صحيحاً راسخاً..

حوار:
محمد توفيق
مدير تحرير مجلة الضياء

التقينا بالدكتور أحمد زويل في هذا اللقاء أثناء انعقاد منتدى الاعلام الذي نظمه نادي دبي للصحافة فكان هذا الحوار:

س: ما هي نظرة الإسلام إلى العلم؟

الإسلام دين العلم، وحسبُنا أن نقول: إن أول آية نزلت -كما هو معلوم للجميع- قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وقد كان هذا إيذاناً بعصر جديد يُمَجِّدُ فيه العلم، ويُحض عليه ويُطلب، ويُذم الجهل ويُحذّر منه ويُهجر، وقد تتابعت الآيات التي تشير إلى قيمة العلم وفضله وأثره في بناء الانسان والمجتمع، وجاء بعضُها بصيغة تُحَرّك العقول وتثير العزائم كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ سورة الزمر: ٩

ولسعة العلوم والمعارف وتنوعها وتطورها وتقدّمها جاء الأمر الرباني مُعَلِّماً ومُرْشِداً ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه: ١١٤، وفي هذا يقول الإمام الطبري: يقول تعالى ذكره: وقل يا محمد: رب زدني علماً إلى ما علمتني. أمَرَهُ بمسألته من فوائد العلم ما لا يَعْلَمُ، وهذا وإن كان في ظاهره خطاباً خاصاً إلا أنّ التوجيه الذي تضمنه توجيهُ عام لأنّ القضية قضيةُ عامة فالازديادُ من العلم أمرٌ لا يستغني عنه أحد، وكلما ازداد الانسان علماً ازداد تمسكاً به، وازدادت معرفته بما كان عليه سابقاً من نقص علمه وقلة معرفته.

ونلحظ في الآية المذكورة: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أن كلمة «علماً» جاءت مُنَكّرة والتنكير يفيد العموم، والمطلوب من الانسان أن يسأل الله أن يزيده علماً شرعياً وعلماً كونياً، وهما في الواقع مترابطان متلازمان، وكلاهما يُعَرِّفان بالله ويدلان عليه ويسعدان الانسان. كل هذا يدلنا على أنّ العلم من حيثُ هُوَ قيمةٌ رفيعةٌ، ومنزلةٌ عالية، وأمرٌ خطيرٌ ينبغي للأمة أن تحرص عليه أشد الحرص.

س: للعلم -بلا شك- فوائد كثيرة. فما هي -يا ترى- هذه الفوائد؟

إنّ من أعلى فوائد العلم (الشرعي والكوني) أنْ يدل الانسان على الإيمان بالله إيماناً صحيحاً راسخاً والإيمان بما أمرَ الله بالإيمان به، ومعرفة شرائعه لخلقه، والالتزام بهديه والتمسك بصراطه.

إذا كانت السعادةُ الدنيوية أعلى مطلب للانسان يسعى لحصولها وتحقيقها والتنعم بها، فإنّ الإيمان كفيلٌ بأنْ يحقق هذه السعادة، وليس في الدنيا فحسبُ بل في الدنيا والآخرة معاً.

> نحن لا ندعو إلى مقاطعة العالم، فهذا غير ممكن بداهةً، وإنما ندعو إلى ما يلحقنا بركب الحضارات التي كنا ساداتها وصُنّاعَها، وندعو إلى تنشيط الحركة الصناعية في بلاد المسلمين، ونقصد الحركة الصناعية الكبرى التي تهتم بالطائرة كما تهتم بالابرة

والعلم يفتّح مداركَ الانسانَ، ويوسّع آفاقه، ويُهذّبُ فكره، ويشذّبُ طباعه،ويكشف له أسرار الوجود، وحقائق الأشياء. وهو في حدّ ذاته مُتعةٌ، عقلية لا تعْدلُها متعةٌ، ولهذا آثرها عددٌ غيرقليل من العلماء الكبار حتى على متعة الزواج والسكن الزوجي فنراهم قد تفرغوا للعلم وتوسيعه وتفتيحه، وطلبه وتدريسه، وتصنيفه وحفظه، ولم يلتفتوا إلى نداء الجسد مهما كان صوتُهُ عالياً، وما ذلك إلا لاستغراقهم في هذه المتع العقلية والذهنية.

س: نحن في العالم الإسلامي لا نأتي في المراتب الأولى في سلم البحث العلمي، فما هي الانعكاسات السلبية التي نعاني منها من جراء ذلك؟ وما هو الطريق لتجنب تلك الانعكاسات؟

الآثار السلبية التي نعاني منها واضحةٌ ملموسة في مجالات كثيرة، فنحن نعتمد على غيرنا اعتماداً كلياً أو شبْه كلي في سائر أمور حياتنا، فغذاؤنا مستورد، وسلاحنا مستورد، وتعليمنا مستورد، ولغتنا مستوردة، وهذا يعني أن الأمة مرتهنة وليس لديها الاستقلال المطلوب في قراراتها ومواقفها وأنها أصبحت أمةً مستهلكة فقط، والأصل أن تكون أمةً مُنْتجَةً، تُعطي قبل أنْ تأخذ، وتصدّر قبل أن تستورد، وتفكر بطريقتها الخاصة، وتقرر حسب قناعاتها ومعتقداتها وموروثها. وطغيانُ الاستهلاك علينا جَعَلَ عقولَنا في سبات، وأيادينا في شلل، وَربَطنا بثقافة المورد ربطاً تاماً، وتعيد الخطط اللازمة لمستقبلها، وتسعى حثيثاً لكفاية ذاتها بذاتها في أمورها الصغيرة والكبيرة. إنّ أهمَ أمرٍ أن يكون لدينا العزمُ والتَصميمُ على التصحيح وعلى تحرير قرارنا، وحفظ سيادتنا، وأن نتخلى عن ثقافة الاستهلاك، وأن نعمل بالترشيد في مفاصل حياتنا كلها، وأن نستغل أراضينا، ونشغّل أبناءنا، ونستثمر أموالنا وطاقاتنا بأنفسنا.

ونحن لا ندعو إلى مقاطعة العالم، فهذا غيرممكن بداهةً، وإنما ندعو إلى ما يلحقنا بركب الحضارات التي كنا ساداتها وصُنّاعَها

ورُوادها، وندعو إلى تنشيط الحركة الصناعية في بلاد المسلمين، ونقصد الحركة الصناعية الكبرى التي تهتم بالطائرة كما تهتم بالابرة، كما ندعو إلى تنويع مصادر الدخل التي تتيح لنا حرية الاختيار وتؤمن لنا البديل حين تمسُ الحاجةُ إلى وجود هذا البديل، فلا بُدّ أن يكون إلى جانب النفط – مثلاً - تجاراتٌ وصناعاتٌ وزراعاتٌ قويةٌ فاعلة ناهضة يسير بعضُها إلى جنب البعض في اتجاه واحد. لقد قَدّمنا للعالم الكثيرَ الكثيرَ في سائر جوانب الحضارة والرقي والثقافة والعلوم والمعارف والآداب، ومن حقنا أن نعود إلى ما كنا عليه، وهذا بإمكاننا حقاً. وانني هنا أدعو شبابنا وشوابنا وأدعو الأجيال إلى القراءة الواعية لما جاء في الكتب الآتية:

- **حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي** للأستاذ جلال مظهر.
- **والإسلام والحضارة العربية** للأستاذ محمد كرد علي.
- **وشمس العرب تطلع على الغرب** للمستشرقة الألمانية زيغريد هونكه.
- **و أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية** الذي صدر باشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة لتربية والعلوم والثقافة (يونسكو).
- **وأثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية** للأستاذ أحمد علي الملا.
- **و دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوربية** للأستاذين هاني المبارك وشوقي أبو خليل.
- وأخيراً كتاب **تاريخ ضائع: التراث الخالد لعلماء الإسلام ومفكريه وفنانيه** للكاتب الأمريكي مايكل هاميلتون مورجان، وفي هذا يقول الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك عن الحضارة العربية بأنها: « هي التي أنقذت أوروبا عندما كانت جاهلة، متعصبة، منغلقة على ذاتها».

لقد كان وعيُنا الحضاري، ومعرفتُنا بقيمة الزمن، ونظرتنا العاليةُ للعمل، وتفانينا في الاتقان، ورغبتُنا الأكيدةُ في التجديد، وصدقُنا في طلب العلم، وانسجامُنا مع مقررات ديننا ... لقد كان كل هذا قائماً واضحاً يحكم مسيرتنا الحياتية، وينظّم كلّ مفرداتها ... ولا أدري ما الذي أصابنا فرجعنا وتأخرنا، وتقهقرنا وصرنا عالة على الآخرين حتى في اللقمة التي نأكلها والثوب الذي نلبسه، واللغة التي نتفاهم بها!!

لا بُدّ من الاعتراف أننا متأخرون كثيراً، وجامعاتنا تخرّجُ أجيالاً مكرورة معادة لا تُحسن الابداع والابتكار، والبحث العلمي عندنا متأخر ولا يُنفق عليه الانفاق المطلوبَ الذي يشجعه ويُخْرجُه من عزلته المميتة، ونحن حين نقارن الانفاق على البحث العلمي في الدول العربية بالانفاق في الدول المتقدمة صناعياً وتقنياً نشعر بالخجل والأسف والحيرة، فهل نراجع حساباتنا وهل نعمل جادين للتغلب على معوقات البحث والنهوض والتقدم؟ نأمل ذلك.

س: هل الأمة الإسلامية مؤهلة في ظل أوضاعنا الحالية لحمل راية التقدم والحضارة من جديد؟

أقول من غير تردد ولا تلبّث: نعم، وإنما يبزغ الفجرُ بعد اشتداد الظلام، وكيف يسعُ مسلماً أن يقول: لا والله عز وجل يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ الصف: ٩ وهذا وعدٌ رباني صريح فلا بد أن يظهر هذا الدين وأهله ويقودوا البشرية من جديد. والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: ((ليبلُغَنَّ هذا الأمرُ مبلغ الليل و النهار و لا يترك الله بيتَ مدر و لا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز وبذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام، و يذل الله به الكفر)) رواه أحمد (١٦٩٩٨)، والمبشرات في ذلك كثيرة. وإذا رجعنا إلى الأمة الإسلامية وجدناها لا تشكو من قلة عدد ولا مال ولا كفاءات ولا عقول مبدعة، فقد حباها الله من ذلك كله الشيء الكثير على اختلاف أقطارها. وكثير من نهضة الغرب راجع إلى عقول عربية مسلمة في الحاضر والماضي. نعم إن الأمة الآن تفتقر إلى (إرادة النهوض) من جديد، فإذا وجدت الإرادة المرتبطة بالاستعانة بالله،والمستهدية بالتوجه القرآني إعداداً واستعداداً، وتخطيطاً وتنفيذاً حققتْ عند ذلك ما تطمحُ إليه. وإنّ لها من تاريخها المجيد، وانجازاتها الرائعة، وتجاربها الغنية ما يُساعدها على حمل الراية، والوصول إلى الغاية، شريطة أنْ توحّد التلبيةَ، وتجمّع الألويةَ، وتصحح مسارها.

> لقد قَدّمنا للعالم الكثيرَ الكثيرَ في سائر جوانب الحضارة والرقي والثقافة والعلوم والمعارف والآداب

وإنّ من أشد الدواعي إلى عودة الأمة إلى مكانتها الريادية والقيادية حاجة العالم المنكوب إليها، وإلى ما عندها من هدايات الوحي الأخير، هذه الهدايات الربانية الهادية الكفيلة باستنقاذ الإنسان من عذابه وآلامه وحيرته وضياعه. وعلى كل مسلم أن يعمل لهذا الهدف النبيل، أينما كان موقعه.

نافذة على العالم الاقتصادي (التحدي)

الدكتور : زيد محمد الرماني
استاذ الاقتصاد الإسلامي - جامعة الرياض بالسعودية
باحث وكاتب اقتصادي معروف

يعيش في الأقطار النامية ثلاثة مليارات ونصف المليار من الناس أي ما يعادل ثلاثة أرباع البشرية، ويحتمل أن ترتفع هذه النسبة إلى أربعة أخماس بحلول عام ٢٠٠٠م.

ويشار إلى الأقطار النامية بعبارة الجنوب الاقتصادي أو بكلمة الجنوب فقط. وهي موجودة على أطراف الأقطار المتطورة في الشمال، وقد تجاوزت إلى حد كبير منافع الرخاء والتقدم. وفي حين أن أغلبية الناس في الشمال يتمتعون ببحبوحة الرفاهية فإن أغلبيتهم في الجنوب من الفقراء، وإذ نجد اقتصاديات الشمال قوية ومرنة، نرى اقتصاديات الجنوب ضعيفة وعاجزة، وفي حين أن أقطار الشمال تسيطر، بصورة عامة على زمام مقدراتها، فإن أقطار الجنوب معرضة لعوامل خارجية تقوض سيادتها.

وتتباين أقطار الجنوب تبايناً كبيراً في الحجم وفي المصادر الطبيعية، وفي هيكل اقتصادياتها ومستوى تطورها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. وهي تختلف كذلك في ثقافاتها وأنظمتها السياسية ومذاهبها العقائدية. وقد برز تنوعها الاقتصادي والثقافي في السنين الأخيرة بشكل جعل جنوب اليوم أقل تجانساً مما كان عليه جنوب الأمس. وقد نظرت لجنة الجنوب في تجربة التنمية الخاصة بالجنوب، وفي مجالاتها في المستقبل، وذلك في مرحلة السنين الأخيرة من عقد من الزمن تميز بأزمة طاحنة بالنسبة لأغلبية الأقطار النامية. وقد وصف عقد الثمانينات بأنه عقد ضائع بالنسبة للتنمية. وان عدداً كبيراً من الأقطار وصل به الحال إلى شفا السقوط. وكان حرمان الشعوب فيها حاداً وطويل الأمد.

كما تعثرت الأمم في سعيها للتخلص من المصاعب التي لا مثيل لها. وقد أدت الحيرة إلى اليأس عندما تردت الثقة في تلك الأقطار بقدرتها على استرداد قوتها الدافعة للنمو والتنمية. ويبحث تقرير لجنة الجنوب (التحدي أمام الجنوب) سجل تنمية الجنوب، فيحدد الانجازات ويحلل نقاط الضعف ويقترح الإصلاح ويطرح برنامجاً مقنعاً لاستراتيجيات تنموية معتمدة على الذات نابعة من الناس وموجهة إليهم.

لقد كان للأزمة في الجنوب أسباب داخلية وخارجية معاً، ولكن الانتكاسات في الاقتصاد العالمي أثرت في الأزمة تأثيراً جوهرياً. بيد أن الأسرة الدولية أخفقت في مساعدة الجنوب، فلم تتخذ شيئاً من الاجراءات التي كان من شأنها أن تعجل في إنهاء المحنة التي أحدقت بنسبة كبيرة من أمم العالم وشعوبه أمداً طويلاً.

إن التحدي أمام أمم الجنوب يتمثل بتعبئة مواردها وتهيئتها للاستخدام على نحو أكثر فعالية على الصعيدين الوطني والجماعي، وذلك لتنشيط التنمية فيها، والحصول على القوة الناشئة عن مشاريع مشتركة، واستغلال الفرص الموجودة في العالم، وكذلك لجعل المنظمة الدولية أكثر استجابة لصالح الجنوب.

وخلاصة القول فإنه لامناص للسياسات من أن تتبدل وللمؤسسات أن تتجذر ولوسائل عمل جديدة أن تستحدث. إن هذه مهمات ضخمة، ولكن على الجنوب أن يواجهها وإلا واجه مزيداً من التهميش والتبعية والديون والفاقة.

هل تنتشر عالمياً؟

إعداد:
د. ياسين سحلول
باحث اقتصادي سوري

لاشك أن الخطوة التي شهدتها بريطانيا مؤخراً بإعطاء الضوء الأخضر لتأسيس أول بنك إسلامي على أراضيها (إسلاميك بإنك أوف بريتين) الذي سيزاول نشاطه المصرفي وفق قواعد الشريعة الإسلامية، تمثل دفعة جديدة للصناعة المالية الإسلامية عالمياً، إلا أن هذه الصناعة تواجه جملة من التحديات أهمها تكيف المصارف مع البيئة و الاقتصاد الإسلامي ومدى قدرتها على فهم المعاملات التجارية وإخضاعها للمنظور الإسلامي.

نطرح هذه القضية في التقرير التالي: نجحت خلال السنوات الأخيرة بعض المصارف التجارية و المالية في الخروج من دائرة الأسواق المحلية التي شهدت نشأتها الأولى و تثبيت أقدامها بشكل سريع في أسواق جديدة لتصبح منافساً قوياً للصناعة المصرفية التقليدية سيما على مستوى السوق المصرفية الأوروبية، الذي شهد أيضاً وخلال العام الحالي أول عملية طرح لصكوك إسلامية بقيمة ١٠٠ مليون يورو (أي ما يعادل ١٢٠،٦ مليون دولار) لصالح إحدى الولايات الألمانية وذلك من خلال بعض البنوك التي أنشأت فروعاً للمعاملات الإسلامية.

ويعكس الإقبال الكبير على خدمات المصرفية الإسلامية في أوروبا مدى النجاح الذي حققته الصناعة المصرفية الإسلامية في شغل موقع متميز بين المصارف التقليدية خلال العقدين الأخيرين على مستوى دول العالم الإسلامي في جنوب شرق آسيا و بشكل خاص ماليزيا إلى جانب دول الخليج العربي فضلاً على الدور الرئيسي الذي تقوم به تلك الصناعة حالياً في نشر مفاهيم الاقتصاد الإسلامي في المجتمعات الغربية وكل ما تحمله من قواعد و مبادئ قائمة على تحريم النظام الربوي.

ولعل ما يؤكد ذلك الدور تلك الفعاليات والأحداث الاقتصادية حول الصناعة المالية الإسلامية التي تشهدها بعض العواصم الأوروبية، وكان آخرها المؤتمر الثاني للتمويل العقاري الإسلامي (آي آر أف ٢٠٠٤) الذي عقد في العاصمة البريطانية لندن، فقد شكلت هذه اللقاءات في مجملها مناخاً صحياً لنشر مفاهيم الصناعة المصرفية الإسلامية في بريطانيا و فرصة عظيمة للتعريف عن قرب بصيغ التمويل الإسلامية مثل المرابحة والإجارة، والتي لاقت إقبالاً كبيراً من الجالية الإسلامية هناك، كما لاقت هذه الفعاليات اهتماماً كبيراً من القيادات المالية و المصرفية في بريطانيا التي حرصت على المشاركة و المناقشة مع قيادات العمل المصرفي في العالم الإسلامي. و نشير هنا إلى مشاركة ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز في مؤتمر الصناعية المالية الإسلامية و البيئة الرقابية الدولية الذي نظمه المجلس العام للبنوك و المؤسسات المالية الإسلامية، وهو ما يؤكد على أهمية تطوير التعاون المتبادل والتعريف بفوائد خدمات و منتجات التمويل الإسلامي ضمن النظام المالي العالمي.

> ٢٦٣ مؤسسة مصرفية إسلامية في ٤٨ دولة تتعامل مع ١٧٠ مليار دولار تقريباً

> تجربة جديدة لبنوك أوروبية وفق الشريعة الإسلامية

لندن بوابة الغرب

ويرى العديد من المراقبين أن بريطانيا تعد مركزاً لغالبية النشاطات المصرفية الإسلامية التي تجرى في الغرب وقد شهد عام ١٩٨٣ م ولادة أول شركة للتكافل في المملكة المتحدة تعمل على توفير البرامج المالية الإسلامية الحلال للمجتمع الإسلامي في بريطانيا.

باعتبارها تابعة لدار المال الإسلامي و تقوم بإدارة ٣و٥ بليون دولار. و تعد شركه تبادل الاستثمار الحلال شركة استثمارية ذات مسؤولية محدودة مسجلة في دبلن، و تهدف إلى تحقيق دخل دائم بطريقة تتوافق مع مبادئ الشريعة الإسلامية وذلك من خلال امتلاك حافظة أوراق مالية مختلفة من حسابات التبادل بالجنية الإسترليني والتي يمكن تداولها في السوق المصرفي البريطاني.

شهد عام ١٩٨٣م ولادة أول شركة للتكافي في المملكة المتحدة تعمل على توفير البرامج المالية الإسلامية الحلال للمجتمع

كما قام بنك كلاينوورت البريطاني أيضاً بإنشاء معهد لأبحاث النظام المصرفي الإسلامي لتطوير أساليب تجارية إسلامية جديدة بالاشتراك مع المفكرين المسلمين. وفي بريطانيا أيضاً أطلق بنك إتس إسبي سي، الذي يعد أكبر البنوك في انجلترا، برنامجاً لتمويل الإسكان وخطة للحسابات الجارية في بريطانيا بما لا تخالف الشريعة الإسلامية، بعد سنوات من الضغط الذي مارسه المسلمون في بريطانيا حيث أن الاستفادة من قروض الرهن العقاري التقليدية والحسابات المصرفية أمر غير مقبول لدى سكان بريطانيا من المسلمين الذين يتراوح عددهم ما بين ١،٥ إلى مليوني مسلم. وبموجب الخطة الجديدة التي طورها قسم (اتس ا سبي سي امانة فاينانس) يقوم البنك بشراء العقارات نيابة عن العملاء وتأجيرها لهم لمدة معينة عادة ما تكون ٢٥ عاماً وهي نفس مدة قروض الرهن العقاري. وتشير أرقام المجلس العام لاتحاد البنوك الإسلامية في البحرين، نمو الطلب على التعامل مع المصارف الإسلامية أو التي تتبع القواعد الشرعية مثل أنظمة المضاربة والمرابحة والمتاجرة والإجارة و الاستصناع. و بقراءة سريعة الحجم المعاملات الإسلامية، نجد أن هناك نحو ٢٦٣ مؤسسة مصرفية إسلامية في ٤٨ دولة بأصول قيمتها ١٧٠ مليار دولار تقريباً.

وتبلغ نسبة نمو حجم رأس مال المؤسسات المالية الإسلامية في دول مجلس التعاون الخليجي ٧٤٪ منذ عام ١٩٩٧م وحتى عام ٢٠٠١م ليصل إلى ٣،١ مليار دولار، بينما بلغ متوسط النمو السنوي لنفس الفترة ١٨،٥ ٪ و تستحوذ دول مجلس التعاون الخليجي على ١٥٪ من إجمالي عدد المصارف الإسلامية في العام حيث تمتلك الدول الست الأعضاء في المجلس ٢١ مصرفاً برؤوس أموال تصل إلى ١٧٩ مليار دولار وهو ما يمثل أكثر من ٢٨٪ من رؤوس أموال البنوك الإسلامية في جميع أنحاء العالم.

الصدق
من أخلاق المسلم في ضوء الكتاب والسنة

إعداد:
إسماعيل عبد الفتاح مصطفى محمد الغندور
مدرس مساعد بكلية أصول الدين والدعوة - جامعة الأزهر

تعريف الصدق

الصدق لغةً : الصاد والدال والقاف : أصلٌ يدلُ على قوّة في الشيء قولاً وغيرَه. ومن ذلك الصِّدْق: خلاف الكَذِب، سمّيَ بذلك لقوّته في نفسه، ولأنَ الكَذِبَ لا قُوّة له، بل هو باطلٌ. وأصل هذا من قولهم: شيءٌ صَدْقٌ، أي : صُلْب ، ورُمْح صَدْقٌ. ويقال صَدَقوهم القتالَ، وفي خلاف ذلك كَذَبوهم. والصِّدّيق: الملازم للصِّدْق ، ويكون الذي يُصَدِّقُ قولَه بالعمل. ورجل صِدْقٌ وامرأة صِدْقٌ ، وُصفا بالمصدر يريدون المبالغة . ويقال : صَدَقه قَبِل قولَه، والمُصَدِّقُ: الذي يُصَدِّقُكَ في حديثك.وصدَقَه الحديث أنبأه بالصِّدْق ، وتَصادَقا في الحديث وفي المودّة. ويقال صَدَقْتُ القومَ أي قلت لهم صِدْقاً.

الصدق اصطلاحًا : تنوعت عبارات السلف في تعريف الصدق، والقصد واحد، فمنها : هو الوفاء لله بالعمل.وقيل: استواء السر والعلانية.وقيل: القول بالحق في مواطن الهلكة .وقيل: أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلا الكذب. وقيل: ألا يكون في أحوالك شوب، ولا في اعتقادك ريب ، ولا في أعمالك عيب. وقيل الصدق: ضد الكذب ، وهو الإبانة عما يخبر به على ما كان. والصديق: هو الذي لم يدع شيئاً مما أظهره باللسان إلا حققه بقلبه وعمله .

أهمية الصدق

الصدق مطلب أساسي في حياة المؤمن، ولذلك أثنى الله تعالى على مَن لزمه فصار له خُلقاً ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾. قال الرازي : الصديق : نعت لمن كَثُرَ منه الصدق ، وجَمَع صدقاً إلى صدق في الإيمان بالله تعالى ورسله، كما أن الله تعالى أمر أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين :فقال سبحانه : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ قال الشوكاني : هذا الأمر بالكون مع الصادقين بعد قصة الثلاثة فيه الإشارة إلى أن هؤلاء الثلاثة حصل لهم بالصدق ما حصل من توبة الله، وظاهر

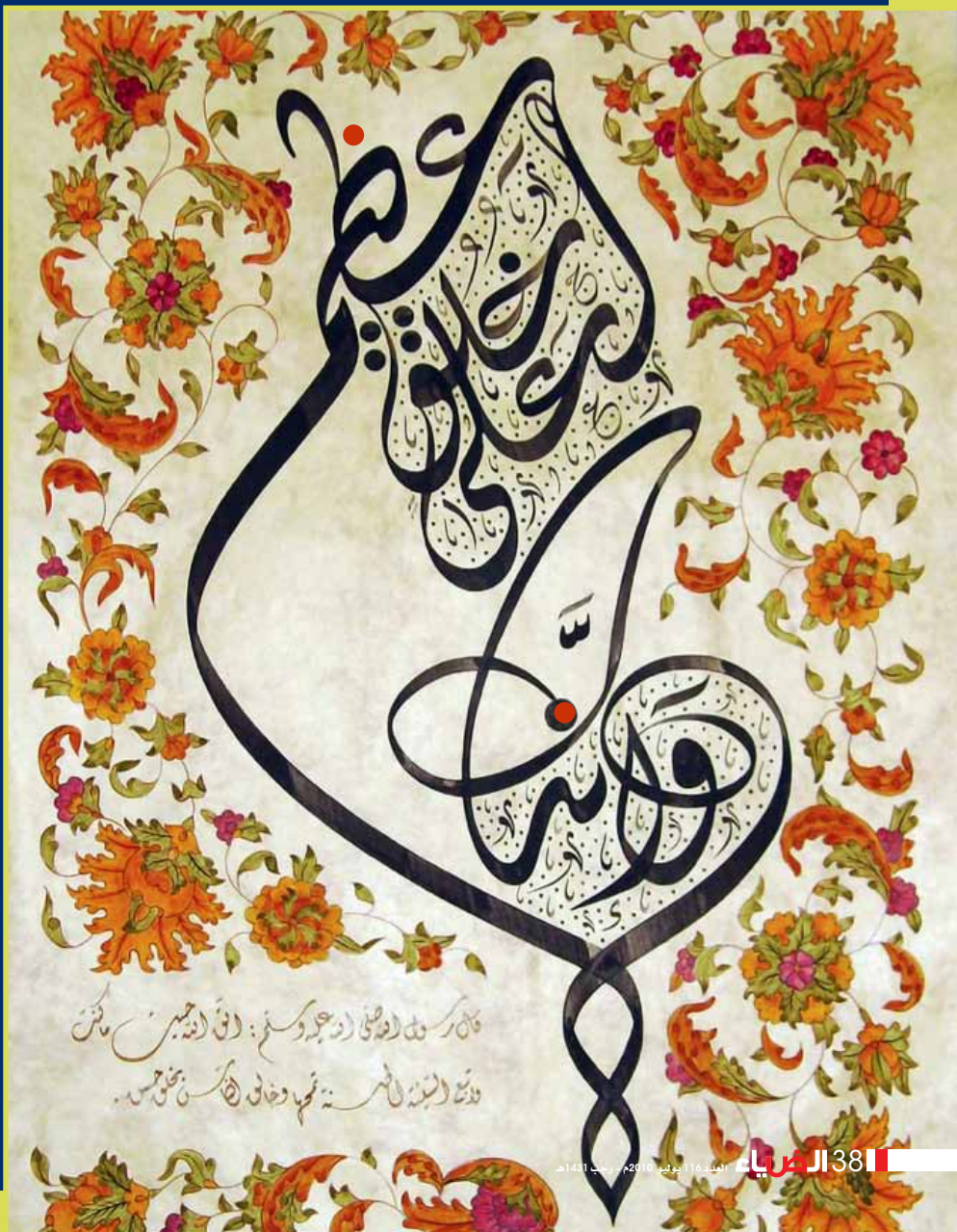

الآية الأمر للعباد على العموم. وهذه الآية نزلت في قصة كعب بن مالك، وتخلفه عن غزوة تبوك بدون عذر، وصدقه رسولَ الله، واعترافه بأن نفسه قد غلبته في هذا الموطن ،فآثر الصدق ورجا فيه من الله حسن العاقبة، ثم وقع له ما وقع من هجر المسلمين له مدة خمسين يوماً، حتى ضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الأرض بما رحبت، ثم مَنّ الله عليه بقبول توبته ، قال كعب بن مالك : فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كَذَبوا ، فإن الله تعالى قال فيهم حين أنزل الوحي شرما قال لأحد ، حيث قال سبحانه : ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

قال الحافظ ابن حجر في هذه القصة: وفيها عظم مقدار الصدق في القول والفعل، وتعليق سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما به. وقال العيني: ولما جرى على هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب، وهجر المسلمين إياهم نحواً من خمسين ليلة فصبروا على ذلك واستكانوا لأمر الله، فرّج الله عنهم بسبب صدقهم جميع ذلك ، وتاب عليهم، وكان عاقبة صدقهم وتقواهم نجاةً لهم وخيراً ، وأعقب ذلك بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ يعني : الزموا الصدق تكونوا مع أهله ، وتنجوا من المهالك ، ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجا.

وبهذا تظهر فضيلة الصدق وملازمته ، وإن كان فيه مشقة على صاحبه ، فإن عاقبته خير، لأن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة ، كما ثبت في الصحيح قال: (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ).

> الصدق مطلب أساسي في حياة المؤمن ، ولذلك أثنى الله تعالى على مَنْ لزمه فصار له خُلقاً

قال النووي: قال العلماء معناه أن الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم ، والبر اسم جامع للخير كله ،وقيل البر الجنة ، ويجوز أن يتناول العمل الصالح والجنة ،وأما الكذب فيوصل إلى الفجور، وهو الميل عن الاستقامة ،وقيل الانبعاث في المعاصي. قال العلماء هذا فيه حث على تحري الصدق، وهو قصده والاعتناء به، وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه، فإنه إذا تساهل فيه كثر منه فعرف به، وكتبه الله لمبالغته صديقا إن اعتاده، أو كذابا إن اعتاده، ومعنى: (يُكتب) هنا يُحكم له بذلك ، ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم، أو صفة الكذابين وعقابهم ، والمراد: إظهار ذلك للمخلوقين، إما بأن يكتبه في ذلك ليشتهر بحظه من الصفتين في الملأ الأعلى، وإما بأن يُلقي ذلك في قلوب الناس وألسنتهم، كما يوضع له القبول والبغضاء ، وإلا فَقَدَرُ الله تعالى وكتابه السابق قد سبق بكل ذلك. والله أعلم. وفي هذا الحديث إشارة إلى أن من توقى الكذب بالقصد الصحيح إلى الصدق صار له الصدق سجية حتى يستحق الوصف به، وكذلك عكسه.

ولأهمية الصدق فقد جعل الله مرتبة الصديقين في الجنة مع المنعم عليهم من النبيين والشهداء والصالحين ، وذلك لكمال تصديقهم بما جاءت به الرسل، حيث علموا الحق وصدقوه بيقينهم، وقاموا به قولاً وعملاً وحالاً ودعوة إلى الله تعالى ، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ فهم الرفيق الأعلى، وحسن أولئك رفيقاً، ولا يزال الله يمدهم بأنعمه وألطافه وكرمه، إحساناً منه وتوفيقاً، حيث جعل لهم منزلة القرب منه ، إذ درجتهم ثاني درجة النبيين ،ولهم مرتبة المعية مع الله تعالى ، فإن الله مع الصادقين في إيمانهم وتقواهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾. وأخبر تعالى أن مَن صدقه فهو خير له، حيث قال سبحانه : ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ فالله تعالى يخبر عَمَّن جاءهم الأمر المحتم، فصار الأمر معزومًا عليهم، ففي هذه الحال لو أخلصوا النية لله تعالى ، وصَدَقُوه في الإيمان والطاعة،والاستعانة به، وبذل الجهد في امتثال أمره، لكان خيراً لهم في عاجل دنياهم، وآجل معادهم. وفي قوله تعالى : ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ إشارة إلى أهمية الصدق، وأنه في يوم القيامة لا ينفع العبد وينجيه من عذاب الله إلا صِدقُه.

وقد وصف الله تعالى نفسه بالصدق فقال جل شأنه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾، قال البيضاوي: إنكار أن يكون أحد أكثر صدقاً منه ، فإنه لا يتطرق الكذب إلى خبره بوجه ، لأنه نقص ، وهو على الله محال. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ نفي أن يكون أحد أصدق منه سبحانه. ووصف الله تعالى به الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في معرض المدح لهم ، والثناء عليهم ، فقال تعالى في حق إبراهيم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ قال ابن عاشور: وصف إبراهيم بالصِّدِّيق لفرط صدقه في امتثال ما يكلفه الله تعالى، لا يصده عن ذلك ما قد يكون عذراً للمكلَف، مثل مبادرته إلى محاولة ذبح ولده حين أمره الله بذلك في وحي الرؤيا، فالصدق هنا بمعنى: بلوغ نهاية الصفة في الموصوف بها. وقال سبحانه في حق إسماعيل: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾. قال ابن عاشور: وخصه بوصف صدق الوعد لأنه اشتهر به، وتركه خُلقاً في ذريته.

وأعظم وعْد صَدَقَه وعدُه إياه ابراهيم بأن يجده صابراً على الذبح، فقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾. وقال في حق إدريس: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾. ولأهمية الصدق فقد أمر الله تعالى رسوله أن يسأله بأن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق فقال سبحانه: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾، قال السعدي: أي اجعل مداخلي ومخارجي كلها في طاعتك وعلى مرضاتك، وذلك لتضمنها الإخلاص وموافقتها الأمر. وبشر عباده بأن لهم عنده قدم صدق، ومقعد صدق فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، قال السعدي: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا إيمانا صادقا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: لهم جزاء موفور، وثواب مذخور عند ربهم بما قدموه وأسلفوه من الأعمال الصالحة الصادقة، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾، أي: في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، عند مَلِك قادر لا يعجزه شيء. ومدح الله المكان بالصدق فلا يُقْعد فيه إلا أهل الصدق.

حقيقة الصدق

قال ابن القيم في حقيقة الصدق: وهي منزلة القوم الأعظم، الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران. وهو سيف الله في أرضه، الذي ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلاً إلا أرْدَاه وصرعه، مَن صال به، لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال ،وهو أساس بناء الدين وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة، ودرجته التي هي أرفع درجات العالمين. وحقيقة الصدق في أعمال العباد مبناها على الإخلاص، الذي يحصل به استواء السريرة والعلانية، والظاهر والباطن.

> حقيقة الصدق في أعمال العباد مبناها على الإخلاص، الذي يحصل به استواء السريرة والعلانية، والظاهر والباطن

وقد أخبر تعالى عن أهل البر وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم من الإيمان والإسلام والصدقة والصبر بأنهم أهل الصدق فقال: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ وهذا صريح في أن الصدق يجب أن يكون بالأعمال الظاهرة والباطنة، فهؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صَدَقوا في إيمانهم؛ لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال، فهؤلاء هم الذين صدقوا ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات.

وقد أخبر الله تعالى أن الناس في حقيقة أفعالهم ينقسمون إلى صادق ومنافق فقال: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، فالإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب ،ولا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر. وفي بيان هذه الحقيقة قال السعدي: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ أي: بسبب صدقهم، في أقوالهم، وأحوالهم، ومعاملتهم مع الله، واستواء ظاهرهم وباطنهم، قال الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: قدرنا ما قدرنا، من هذه الفتن والمحن والزلازل، ليتبين الصادق من الكاذب، فيجزي الصادقين بصدقهم ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ الذين تغيرت قلوبهم وأعمالهم عند حلول الفتن، ولم يفوا بما عاهدوا الله عليه. ﴿إِنْ شَاءَ﴾ تعذيبهم بأن لم يشأ هدايتهم، بل علم أنهم لا خير فيهم، فلم يوفقهم. ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بأن يوفقهم للتوبة والإنابة، وهذا هو الغالب، على كرم الكريم، ولهذا ختم الآية باسمين دالين على المغفرة، والفضل، والإحسان فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رحيمًا﴾ غفورًا لذنوب المسرفين على أنفسهم، ولو أكثروا من العصيان، إذا أتوا بالمتاب. ﴿رَحِيمًا﴾ بهم، حيث وفقهم للتوبة، ثم قَبِلَهَا منهم، وستر عليهم ما اجترحوه.

فالمؤمن الحق عنده من حُسن القصد، وكمال العزم، وقوة الإرادة ما يجعله على استمرار في صدق السلوك مع الله تعالى، ومع عباده، مع الميل الشديد عما يؤثر على صدق هذا التعامل. وهذا دليل على صحة التوجه إلى الله تعالى، فهو اجتهاد لا يمازجه رياء ولا فتور،ولا يكون فيه قسمة بحال، ولا يصح الدخول في شأن السفر إلى الله والاستعداد للقائه إلا به. فهو بذلك لا يستجيب لأي داع يدعوه إلى نقض عهده، وترك صدقه في كل حال، فهو صادق حقيقة، قد انجذبت قوى روحه كلها إلى إرادة الله وطلبه، والسير إليه، والاستعداد للقائه. ومن تكون هذه حاله لا يحتمل سبباً يدعوه إلى نقض عهده مع الله بوجه من الوجوه، فهو لا يصاحب أهل الغفلة، لأنهم قُطّاع طريق القلب إلى الله تعالى، وأضر شيء على الصادق في عمله لربه جل وعلا، وفي عمله مع الناس.

فالمؤمن الصادق لا يقعد عن الجد بحال، فهو في جميع أحواله لا يُرَى إلا جاداً، وأمره كله جد، فلا يتمنى الحياة إلا للحق، ولا يشهد من نفسه إلا أثر النقصان، فلا يحب أن يعيش إلا ليشبع من رضى محبوبه، ويقوم بعبوديته، ويستكثر من الأسباب التي تُقَرِّبُه إليه، وتدنيه منه، لا لعلة من علل الدنيا، ولا لشهوة من شهواتها، كما قال عمر بن الخطاب: لولا ثلاث لما أحببت البقاء، لولا أن أحمل على جياد الخيل في سبيل الله، ومكابدة الليل، ومجالسة أقوام

ينتقون أطايب الكلام كما يُنتقَى أطايب التمر، يريد الجهاد والصلاة والعلم النافع ، وهذه درجات الفضائل ، وأهلها هم أهل الزلفى والدرجات العليا. وقال معاذ عند موته: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء لجري الأنهار ، ولا لغرس الأشجار، ولا لنكح الأزواج، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الليل ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر. فبهذا تظهر حقيقة صدق العبد في التزامه بهذا الدين ، فإن العبد إذا صَدَقَ ربّه في طاعته رضي الله بعمله وحاله ويقينه وقصده ، لأن هذا العامل قد رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، فرضي الله تعالى به عبداً ، لأن أعماله مَرْضيّة عند الله، وأحواله صادقة مع الله، وقصده مستقيم على الإخلاص والمتابعة لأمر ربه.

فحقيقة الصدق في هذه الأشياء هو: الحق الثابت المتصل بالله، الموصل إلى الله، وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال والأحوال. قال ابن القيم: فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه ، وقيامها به، تكون صديقيته، ولذلك كان لأبي بكر الصديق وأرضاه ذروة سنام الصديقية، سمي الصديق على الإطلاق، و الصديق أبلغ من الصدوق، والصدوق أبلغ من الصادق.

فأعلى مراتب الصدق: مرتبة الصديقية، وهي كمال الانقياد للرسول ، مع كمال الإخلاص للمرسل، وفي هذا قال تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾، وقد وضح هذا السعدي بقوله: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ في قوله وعمله، فدخل في ذلك الأنبياء ومن قام مقامهم ممن صدق فيما قاله عن خبر الله وأحكامه، وفيما فعله من خصال الصدق. ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ أي: بالصدق ، لأنه قد يجيء الإنسان بالصدق، ولكن قد لا يصدق به، بسبب استكباره، أو احتقاره لمن قاله وأتى به، فلا بد في المدح من الصدق والتصديق، فصدقه يدل على علمه وعدله، وتصديقه يدل على تواضعه وعدم استكباره.﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الذين وفقوا للجمع بين الأمرين ﴿هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ فإن جميع خصال التقوى ترجع إلى الصدق بالحق والتصديق به. وفي بيان هذه الحقيقة قال ابن القيم: الصدق مفتاح الصديقية ومبدأها، وهي غايته ، فلا ينال درجتها كاذب ألبتة، لا في قوله ، ولا في عمله ،ولا في حاله ، ولاسيما كاذب على الله في أسمائه وصفاته ، ونفي ما أثبته ،أو إثبات ما نفاه عن نفسه ، فليس في هؤلاء صدّيق أبداً ، وكذلك الكذب عليه في دينه وشرعه، بتحليل ما حرمه ، وتحريم ما لم يحرمه ،وإسقاط ما أوجبه ،وإيجاب ما لم يوجبه،وكراهة ما أحبه ،واستحباب ما لم يحبه ،كل ذلك منافٍ للصديقية، وكذلك الكذب معه في الأعمال، بالتحلي بحلية الصادقين المخلصين والزاهدين المتوكلين، وليس في الحقيقة منهم.

فلذلك كانت الصّديقية : كمال الإخلاص والانقياد، والمتابعة للخبر والأمر ظاهراً وباطناً. حتى إن صدق المتبايعين يُحلّ البركة في بيعهما ، وكذبهما يمحق بركة بيعهما ،كما في الصحيحين عن حكيم بن حزام قال : قال رسول الله : (الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا).

أنواع الصدق

أنواع الصدق كثيرة ، وقد يكون للعبد صدق في بعض الأمور دون بعض، فإن كان صادقاً في الجميع فهو الصّدّيق حقاً. وأفضل هذه الأنواع وأعزها الصدق في مقامات الدين، كالصدق في الإيمان والإخلاص والخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والمحبة وغيرها. وسأتناول في هذا المبحث أربعة من هذه الأنواع وهي:

- الصدق في الإيمان،
- والصدق في الإخلاص،
- والصدق في التوكل ،
- والصدق في المحبة، مضيفاً إليها:
- الصدق في القول
- والصدق في العمل، لأهمية هذين النوعين، وحاجة المجتمع إليهما ، وظهور أثرهما بين الناس.

١. الصدق في الإيمان

الإيمان يوصف بالصدق أو الكذب، لأنه يتعلق بالقلب والجوارح. وقد وصف الله تعالى المؤمنين بالصدق، كما وصف المنافقين بالكذب في دعوى الإيمان، فقال الله تعالى في وصف المؤمنين الصادقين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، فهذه الآية مبيّنة لحقيقة الإيمان الكامل، والتصديق المحض بالله تعالى، تعليماً لهؤلاء الأعراب ومن على حالهم،الذين ادعوا الإيمان بالكلمة الظاهرة، ولم تؤمن قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

فالصدق دعوى كبيرة في كل شيء يُدّعَى يحتاج صاحبه إلى حجة وبرهان، وأعظم ذلك دعوى الإيمان ، الذي عليه مدار السعادة ، فمن ادعاه وقام بواجباته ولوازمه فهو الصادق المؤمن حقّا ، ومَن لم يكن كذلك فليس بصادق في دعواه ، وليس لهذه الدعوى فائدة ، فإن الإيمان في القلب لا يَطّلع عليه إلا الله تعالى. وقد وصف الله المؤمنين بالصّدّيقين، حيث قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾، قال السعدي :والإيمان عند أهل السنة: هو ما دل عليه الكتاب والسنة، هو قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، فيشمل ذلك جميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة. فالذين جمعوا بين هذه الأمور هم الصديقون ، أي: الذين مرتبتهم فوق مرتبة عموم المؤمنين، ودون مرتبة الأنبياء.

وفي المقابل وصف الله المنافقين بالكذب في دعوى الإيمان، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ . يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾، ذلك لأن الإيمان لم

يباشر قلوبهم ولم يتدخل في حركاتهم وسكناتهم وخطواتهم، وإن بدت منهم حسنات وعبادات وأخلاق، بل وجهاد، إن هي إلا حركات جوفاء، فارغة من معاني الإيمان الصادق، ليس وراءها إلا رياء وسمعة وخداعاً للمؤمنين، فالمنافقون يتخذون من الألفاظ الجميلة أمثال الإيمان بالله واليوم الآخر، والتمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، واتباع منهج السلف الصالح، والالتزام بالشريعة الإسلامية، وغيرها من الألفاظ البراقة، إنهم يتخذونها شعارات تُقال وتُذاع وتُنشر في كل مناسبة وفي كل اجتماع، يُحْمَد عليها قائلوها ويُشكرون ويُمجّدون.

إن هؤلاء المنافقين يدّعون الإيمان وصحة العقيدة ولكنهم في الحقيقة كاذبون، حيث قال تعالى عنهم: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾. وقد يبتلي الله تعالى من تلفظ بالإيمان ليظهر صدقه من كذبه كما قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ فهذه الآيات بينت لنا كيف يكون الإيمان الصادق من الإيمان الكاذب ،مع ما بينته من صفات المؤمنين والمنافقين ليجتهد من وفقه الله تعالى للخير بسلوك طريق الإيمان والتمسك به، والحذر من طريق الغواية والبعد عنه.

٢. الصدق في الاخلاص

للإخلاص منزلة عظيمة في دين الله تعالى، ولذا جاءت الكتب كلها بأصل واحد، ودين واحد ، فما أمروا في سائر الشرائع إلا أن يعبدوا الله مُخلصينَ لَهُ الدّينَ ظاهراً وباطناً، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾. هذه هي قاعدة دين الله على الإطلاق، عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، والميل عن الشرك وأهله ، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.

> للإخلاص منزلة عظيمة في دين الله تعالى، ولذا جاءت الكتب كلها بأصل واحد، ودين واحد ، فما أمروا في سائر الشرائع

إنها عقيدة خالصة في الضمير، وعبادة لله تعالى تترجم هذه العقيدة ،فمن حقق هذه القواعد، فقد حقق الإيمان كاملاً، وصدق مع الله في تحقيق دينه على الإطلاق، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، وفي بيان معنى هذه الآية قال ابن كثير: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ أي: ثوابه وجزاءه الصالح، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾، ما كان موافقًا لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصًا لله، صوابا على شريعة رسول الله. وقد أمر الله تعالى عباده أن يكونوا على درجة من الصدق في إخلاص جميع أعمالهم له فقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، قال سيد قطب: إنه التجرد الكامل لله ، بكل خالجة في القلب، وبكل حركة في الحياة، بالصلاة والاعتكاف، وبالمحيا والممات، بالشعائر التعبدية، وبالحياة الواقعية، وبالممات وما وراءه. وكذلك أكّد هذا النبي في الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري قال : قال أعرابي للنبي الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليُذْكَر، ويقاتل ليرى مكانه مَن في سبيل الله ؟ فقال : (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ). فالصدق في الإخلاص من أشق الأمور على النفوس. فمن هنا يتضح : أن الإخلاص والصدق بينهما تلازم، فكل مخلص صادق، وكل صادق مخلص.

٣. الصدق في المحبة

لمحبة الله تعالى حقيقتها، والصادق فيها هو المحقق لحقيقتها ،البالغ غايتها، وإن لتلك الحقيقة علامات ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله. فالمحبة ليست كلمة تقال ، ولا هياماً بالوجدان، إلا أن يصاحبه الاتباع لرسول الله، فهنا نقطة التقاء المحبة بالصدق، التقاء المحبة بالاتباع لسنة النبي، والسير على هديه، والقيام بدعوته ،وتحقيق منهجه في الحياة، وإذا خلت من هذه الأمور فإنها دعوى عارية عن الصدق ، ومجردة عن الحقيقة.

٤. الصدق في التوكل

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتوكل عليه ، فقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وأخبر سبحانه أنه محب لمن اتصف بهذه الصفة العظيمة فقال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، فيجب على المسلم أن يحرص على القيام بهذا الأمر الإلهي ، والالتزام بهذه الخصلة العظيمة، بصدق مع الله في تحقيق هذا الفعل، ومجاهدة النفس في الثبات عليه .

فإذا توكل المسلم على الله حق توكله كفاه همه، وأراحه مما أهمه، وأنزل عليه سكينته، فاطمأن إلى حكمه الديني الشرعي، واطمأن إلى حكمه الكوني القدري. وفي بيان هذا قال السعدي : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: في أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه به. وفي صدق التوكل على الله تعالى قال رسول الله : (لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِه لرزقتم كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا). وتأثير الصدق في التوكل

من جانب آخر، يظهر في عدم الاعتماد على الأسباب، من الأعمال والآلات والأشخاص، فالمؤمن المتوكل الصادق لا يعتمد عليها اعتماداً كلياً في تحقيق النتائج، بل يأخذ بها ويتصل بالآخرين، ويخطط ويبرمج وينظم ويجتهد، ولكن قلبه متصل بالله تعالى، فهو قد اعتمد على الله تعالى وحده، وركن إليه سبحانه في تحقيق النتائج، ثم يقبل ما يُقَدّرُه الله تعالى برضا واطمئنان، فذلك هو التوكل الصادق.

٥. الصدق في القول

دلت الآيات القرآنية على وجوب الصدق في القول كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، وكما قال النبي: (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا). ففي هذه الأدلة وما شابهها دلالة على حاجة المجتمع الإنساني إلى الصدق في القول، فهو الخُلق الذي تقوم عليه العلاقات الاجتماعية، والمعاملات الإنسانية، لأنها تعتمد على صدق الكلمة. فإذا لم تكن الكلمة معبرة تعبيراً صادقاً عما في نفس قائلها، لم نجد وسيلة أخرى كافية نعرف فيها إرادات الناس، ونعرف فيها حاجاتهم، وحقيقة أخبارهم.

ولولا الثقة بشرف الكلمة وصدقها لتفككت معظم الروابط الاجتماعية بين الناس، ويكفي أن نتصور مجتمعاً قائماً على الكذب لندرك مبلغ تفككه، وانعدام صور التعاون بين أفراده. والصدق في القول مطلوب وواجب في الشهادات والتزكيات والترشيحات والثناءات، كما قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فالله تعالى أمر عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالعدل، فلا يعدلوا عنه يميناً ولا شمالاً، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عنه صارف، وأن يكونوا متعاونين متناصرين فيه.

ومما يدل على عظم شأن الصدق في الشهادة، وتأكد وجوبه أن رسول الله جعل الكذب في الشهادة من أكبر الكبائر، لما ورد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال النبي: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئا. فقال: ألا وقول الزور. قال: فما زال يكررها حتى قلنا.. ليته يسكت).

وإن صدق الكلمة لابد أن يتحقق كذلك في العقود والعهود، لأن الإخلاف فيها كذب وخيانة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾. ومن أدق مجالات صدق الكلمة ما يكون في التعامل مع الأطفال، فالكذب حرام حتى ولو كان عليهم، حرصاً من الشارع الحكيم على إيجاد البيئة الصالحة التي ينشأ فيها الأطفال على فضيلة الصدق، فعن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله قاعد في بيتنا، فقالت: (ها، تَعَالَ أعطيك، فقال لها رسول الله: «وما أردت أن تعطيه ؟ قالت: أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله: أما إنّك لو لم تعطيه شيئاً كُتِبَتْ عليك كذبة).

٦. الصدق في العمل

عند التأمل في حقيقة الصدق في العمل نجد أنه لابد أن يتوفر في هذا العمل ما يأتي:

• العمل بمقتضى العلم الشرعي، كما أخبر سبحانه وتعالى عن شعيب عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ قال ابن كثير: أي: لا أنهاكم عن شيء وأخالف أنا في السر فأفعله خفية عنكم. وقد أنكر سبحانه وتعالى على من خالف ما عنده من العلم الشرعي وكذلك أنكر سبحانه وتعالى على من يَعِد عِدَةً، أو يقول قولاً لا يفي به فقال جلّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، فلا يليق بالمؤمن الذي صَدّق الله ورسوله أن يقول القول الذي لا يُصَدّقه بالعمل.

• استواء السريرة والعلانية في الحق، بأن يكون الباطن مثل الظاهر، أو خيراً منه، فتكون الأعمال الصالحة الظاهرة التي يقوم بها المسلم ترجمة صادقة لما هو مستقر في باطنه، وأن يكون حرصه على هذه الأعمال السرية التي لا يعرفها إلا الله تعالى أكثر من حرصه على الأعمال الظاهرة أو مثله، فبهذا تكون إرادة العبد من عمله وجه الله تعالى، ويكون إخلاصه فيه امتثالاً وانقياداً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

• الإتقان في كل عمل صالح يقوم به المسلم، وهذا من العدل والإحسان الذي أمر الله تعالى به حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾. فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده، بأداء الأعمال والحقوق كاملة مُوَفّرة، فلا بخس ولا غش ولا خداع ولا ظلم. فبهذا يؤدي المسلم عمله على خير وجه، ويحسن إلى نفسه فلا يلحقه تبعة في عمله، ويحسن إلى الآخرين بتوفيهم حقوقهم. وهذا الإحسان مفهومه واسع، وميدانه فسيح، ولذا قال: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ).

فالأمر بالإحسان يكون في كل شيء بحسبه، فإذا حقق العامل هذه المعاني العظيمة فهذا دليل على صدق عمله، وإرادته بعمله وجه الله تعالى. فخُلُق الصدق في الأعمال لا يتحقق إلا بثمن، ولا يصير خُلُقاً إلا بتضحية ومجاهدة طويلة وشاقة، إنه خُلُق لا يتحمله إلا المخلص المتجرد لله تعالى، الذي يُضَحّي في سبيل ذلك بكل حظوظ النفس ومُتَع الحياة، وإلى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

المآذن الإسلامية

د.مجدي علوان
خبير العمارة الإسلامية
القاهرة ـ دار الإعلام العربية

كانت «المئذنة» إحدى الحلقات المهمة التي تجلت من خلالها العمارة الإسلامية، والتي أظهر فيها المعماري المسلم فنه وإبداعاته.وحول فنون عمارة المآذن وأهميتها وتاريخها ومكانتها في العمارة الإسلامية يتحدث د. مجدي علوان، الأستاذ المساعد في قسم الآثار بكلية الآثار في جامعة القاهرة، أحد أبرز المتخصصين في مجال العمارة الإسلامية، شارحا نشأة أول مئذنة، وكيفية تطور المآذن لتأخذ شكلها الحالي، ولتصبح رمزا من رموز العمارة الإسلامية.

ما معنى «المئذنة» وما أهميتها في العمارة الإسلامية؟

المئذنة في اللغة العربية هي مكان الأذان والإعلام عنه، أو مكان تأدية الأذان والمناداة إلى الصلاة، وفي الماضي كان كثير من المآذن مزود بالقناديل المضيئة، ما جعلها منارات تهدي المسافرين في ظلمة الليل، لذلك فإن الباحثين العرب يطلقون على المآذن «المنارات»، ومن الأهمية أن نشير في هذا الصدد إلى أن المئذنة كانت تستخدم في بعض الأحيان، في إعلان بيانات الدولة وقراراتها التي يعلنها الحاكم أو خليفة المسلمين.

ومع مرور الزمن باتت المئذنة تشكل قطاعاً قائماً بذاته في فن العمارة الإسلامية، فأولاها المعماريون عناية كبيرة وأبدعوا في تصميمها وتنفيذها وارتفاعاتها، حتى إنها وصلت في بعض الأحيان إلى عشرات من الأمتار، وكذلك أبدعوا في الشكل الجمالي وزخارف البناء والنقوش الإسلامية البديعة، وأخذت المآذن أشكالاً شتى ما بين مدورة ومضلعة ومربعة، وتتناسب قاعدة المئذنة طرداً مع ارتفاعها، وبداخلها يوجد سلم حلزوني يصعد من خلاله المؤذن إلى شرفة المئذنة ويقف وينادي للصلاة.

في أي مدينة ظهرت المآذن للمرة الأولى، وكيف كان شكلها؟

ظهرت المآذن للمرة الأولى في مدينة دمشق(الشام)، العاصمة السورية حاليا، حيث أُذّن للصلاة من أبراج المعبد القديم الذي قام على أنقاضه في ما بعد «المسجد الأموي» الشهير في دمشق، وكانت هذه الأبراج هي الأصل الذي بنيت على منواله المآذن الأولى في العمارة الإسلامية، لاسيما في مصر والشام وبلاد المغرب.

وكانت المآذن في بداية العصر الإسلامي بسيطة في طريقة بنائها، فكانت مربعة القطاع حتى الشرفة الأولى ثم تستمر على هذا الشكل، وأحيانا على شكل ثماني الأضلاع، ويلي ذلك شكل مثمن أو دائري وتنتهي في قمتها بقبة صغيرة، أما في العصر الذهبي في الإسلام الذي شهد تطورات في مختلف المجالات فكانت المآذن تقام على قاعدة مربعة ترتفع قليلاً أعلى سقف المسجد، وبعد ذلك تتحول إلى شكل ثمانيّ الأضلاع إلى الشرفة الأولى، وكان يُزين كل ضلع من هذه الأضلاع الثمانية بقبلة صغيرة مزودة بأعمدة لها نهاية مثلثة الشكل، وذات شرفة واحدة.

خلاف تاريخي

يقال إن هناك خلافاً حول تاريخ أول مئذنة..فكيف حدث ذلك؟

هذا صحيح.. فهناك خلاف بين المؤرخين والأثريين العرب والمسلمين حول تاريخ أول مئذنة، هناك رأي يؤكد بأن أول مئذنة ظهرت في عصر الخليفة الرابع عثمان بن عفان، وهناك من يقول إن هذه المئذنة الأولى أنشئت في العصر الأموي، في عصر زياد بن أبيه عامل معاوية بن أبي سفيان، بينما يذكر المؤرخ الكبير المقريزي أن أول مئذنة في الإسلام هي صوامع جامع عمرو بن العاص الأربع بالقاهرة، التي بناها «مسلمة بن مخلد» والي مصر في زمن حكم الأمويين.

هل معنى ذلك أنه لم تكن هناك مآذن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؟

لا لم تكن هناك مآذن على عهد الرسول، ولم يكن هناك اهتمام بالمئذنة عند إقامة المساجد آنذاك، فقد كان بلال بن رباح، رضي الله عنه، يقف على سطح المسجد ويؤذن، وذلك هو المعروف والمشهور عنه، فلم يكن البناء المعماري للمئذنة قد عرف بعد، لكنه عرف بعد ذلك وأصبحت المئذنة تشكل ركنا أساسيا في عمارة المسجد لا يكتمل بناء أي مسجد دونه.

هناك من يقول إن المسلات الفرعونية قد تماثل فكرة المئذنة، فهل ربما امتدت فكرة المئذنة من ذلك العصر؟

لا شك في أن الفراعنة هم ملوك الفنون المعمارية، ومنذ القدم تعتبر المسلة فكرة شموخ البناء نحو الارتفاع لأعلى، وربما تشبه المئذنة المسلة من الوجهة النفسية البنائية من حيث مسألة الارتفاع في البناء بما يشبه في البناء القلم الرصاص، لكن الحقيقة الواضحة أن المئذنة أصبحت تشكل معمارا إسلاميا فريدا قائما بذاته ويتمتع بنوع من الخصوصية الحضارية والمعمارية الإسلامية، بحيث إن أي دارس للعمارة الإسلامية لا يمكنه أن يتجاهل المآذن ومكانتها وأشكالها المتنوعة والتي تبرز إلى أي حد ازدهرت هذه الحضارة العريقة.

ما أوجه الاختلاف بين المآذن من الناحية المعمارية؟

تمثل «مئذنة الجيوشي» بالمقطم في مصر، نموذجا مهما لشرح تطور المآذن، وهي تتكون من قاعدة مربعة يعلوها مثمن ينتهي بمبخرة، وهي محتفظة إلى الآن بكامل زخارفها القديمة حيث كانت تتسم مآذن ذلك العصر بهذا الشكل، ومن هنا تطور شكل المئذنة، ثم تطور فن المآذن مع عصر المماليك حيث أصبح الطابق العلوي من المئذنة مستديرا، وتطور ذلك إلى قاعدة مربعة يليها جزء مثمن، ثم جزء مستدير ذو «جوسق» أقيم على أعمدة تسمى «قلل»، مثل مئذنة قبة مسجد «سلار وسنجر الجاولي» بالقاهرة، ومع الوقت اتجهت قاعدة المئذنة إلى الانخفاض قليلاً مثل قاعدة جامع «المارداني» وجامع «برقوق»، وارتفاع الجزء الأوسط الثماني كمئذنة مدرسة منصور قلاوون بالنحاسين في منطقة القاهرة القديمة.

> **أطول مئذنة في العصر الحالي هي مئذنة مسجد الحسن الثاني بالمغرب ثم مئذنة جامع الفتح برمسيس في القاهرة وفي الهند مئذنة «قطر منار» وأكثر مسجد به مآذن في العالم هو المسجد النبوي الشريف ويصل عددها إلى عشر مآذن**

وفي نهاية القرن الثامن الهجري ظهرت مآذن في مصر ذات رؤوس مزدوجة بصلية الشكل، مثل مئذنة (قايتباي الرماح) ومئذنة مسجد الغوري ذات الأربعة رؤوس في أعلى القمة. وتطور فن المآذن في العصر العثماني حيث زادت في إسطنبول وفي شتى البلاد الإسلامية، طولاً وارتفاعاً وقلت مساحتها وضخامتها بعض الشيء، وتعددت أضلاعها واتسمت بانتهائها بقمة مخروطية مدببة تشبه بشكل كبير القلم الرصاص، واستمرت المئذنة بهذا الشكل حتى عهد أسرة «محمد علي» ومثالها في مصر جامع محمد علي بالقلعة، حيث تظهر سمات هذا العصر بالغة وواضحة للغاية.

أقليات مسلمة في شمال أوروبا

المسلمون في فنلندا

فنلندا

السيد محمد المسيري - مراسل الضياء

حقائق وآمال

تعد فنلندا من الدول الإسكندينافية التي تنعم في الوقت الحاضر بالرخاء، والاستقرار، والأمن، والسلام نتيجة إنتهاج حكومتها صون، وكفالة حريات الأديان، وحماية الأقليات الدينية بها. لذا، عرفت فنلندا الإسلام مبكراً. والمسلمون بها أقلية دينية نشطة. وبالرغم من أنهم يمارسون شعائرهم في حرية، ويسر إلا أنهم يواجهون عدة تحديات، وقلة الموارد المالية، والترجمات الخاطئة للقرآن، وغيرها. وبالتالي، نصحبكم في هذه الجولة لنبين لكم فيها: ما هي دولة فنلندا، وماذا نعرف عن المسلمين فيها؟ وما هي اوضاعهم المتباينة بها للاهتمام بهم ثقافياً، واقتصاديا، واجتماعيا، وذلك لتسليط الضوء عليهم حتى يصونوا هويتهم العقائدية، ويحققوا آمالهم الإنسانية، ويوطدوا كيانهم الإسلامي في هذه الدولة الأوروبية.

موقعها الجغرافي ومساحتها

يذكر فضيلة الشيخ الدكتور أحمد عطية مؤسس الرابطة الإسلامية في فنلندا أن فنلندا تقع بين خط العرض ٦٠ و٧٠ ويمر القطب الشمالي للكرة الأرضية من شمال البلاد في منطقة تسمى (بلابلند) ويحد فنلندا السويد من الغرب، والجنوب. وروسيا من الشرق. ويحدها من الشمال دولة النرويج. وتعد فنلندا خامس أكبر دولة أوروبية من حيث المساحة إذ تبلغ مساحتها ٣٣٨٠٠٠كم٢. و١٠٪ من مساحتها مغطاة بالمياه حيث يبلغ عدد البحيرات في فنلندا ١٨٨,٠٠٠ بحيرة أي بمعدل ٣٧كم٣ من مياة البحيرات لكل نسمة و٦٥٪ من مساحتها عبارة عن غابات، و٨٪ من مساحتها أرض زراعية.

عدد سكانها

يقول علاء الدين محمد على ماهر نائب رئيس الإتحاد الأعلى للجمعيات والمنظمات الإسلامية بفنلندا.

أن المسلمين الذين يعيشون في فنلندا حوالي ٢٠ ألف مسلم. وهم من جميع البلدان الإسلامية. وحتى عام ١٩٦٠م، كان معظم المسلمين من التتار. أما الآن، فإنه يوجد أكثر من ١٢ جنسية من المسلمين، وبها أقلية يهودية ويقدر عدد سكان هذه الدولة حوالي ٥,٢٣٨,٤٦٠ نسمة.

اللغات والأديان

يشير فضيلة الشيخ الدكتور أحمد عطية أن السكان في فنلندا يتكلمون اللغة الفنلندية. وتعرف في اللغة المحلية باللغة البالومية. وتنتمي اللغة الفنلندية إلى عائلة اللغات: الفيتو اوغريان. ويتحدث بها ٩٣٪ من السكان كاللغة الأم. وتأتي اللغة السويدية في المرتبة الثانية. وتعتبر اللغة القانيسة ويتحدث بها ٧و٦ كاللغة الأم. ويوجد بها اللغة الصومالية، واللغة الإنجليزية، واللغة العربية. ويتحدث اغلب المسلمون فيها اللغة العربية لكونها لغة القرآن الكريم. أما الأديان السائدة فيها هي: الديانة المسيحية اللوثرية، وهي الديانة الرسمية بفنلندا حيث تمثل حوالي ٨٨,٢٪ و١و١٪ من المسيحيين الارثوزكس، و١٥٪ من الديانة الإسلامية للمسلمين.

> **عرفت فنلندا الإسلام منذ ١٥٠ عاماً**

طابع الحكم

يكمن طابع الحكم لهذه الدولة في النظام الجمهوري الذي يعتمد على التعددية الحزبية. فكانت فنلندا موضع للصراع بين كل من روسيا والسويد لفترة كبيرة من الزمن. إلا أنها تمكنت من حصولها على استقلالها ٦/١٢/١٩١٧م، وعاصمتها هلسنكى. وعملتها اليورو.

إقتصاد فنلندا

يقوم اقتصاد هذه الدولة على عدة مصادر تكمن في الآتي:

١. الزراعة

تمثل هذه الزراعة نسبة ١٪ من الأراضي الفنلندية. وأهم منتجاتها الزراعية: القمح، وتكفى فنلندا معيشتها منه بنسبة ٤٠٪ من المائة.

٢. صيد الأسماك

٣. الثروة الخشبية

يسمي الفنلنديون هذه الثروة بالذهب الأخضر. ويبلغ معدل دخل الفرد فيها عام ١٩٩٠م حوالي ٢٤ دولاراً أمريكياً تقريبا.

٤. صناعة الورق

تمثل هذه الصناعة نسبة كبيرة من صادرات البلاد.

٥. مصادر خارجية

تمثل المواد الخام، والوقود، والآلات.

٦. زيادة حجم التجارة الدولية مع الاتحاد السوفييتي الأسبق. ونقص حجمها مع إلمانيا، والمملكة المتحدة(١).

دخول الإسلام إلى فنلندا

أكد الشيخ الدكتور أحمد عطية مؤسس الرابطة الإسلامية فيها أن الإسلام دخل إليها منذ ما يقارب المائة وخمسين عاما عن طريق التجار من بلاد التتار في الإمبراطورية الروسية حيث كان هؤلاء التجار يتنقلون في بلاد آسيا والبلدان الإسكندينافية، وبعد قيام النظام الشيوعي عام ١٩١٧م اضطر كثير من هؤلاء إلى الإستقرار في البلدان الإسكندينافية ومنها فنلندا حيث بدأ معها التواجد الإسلامي المقيم في البلاد حتى وصل عدد المسلمين إلى ٢٠٠٠ ألف مسلم.

> مشكلة قلة الموارد المالية، ومشكلة الترجمات الخاطئة للقرآن أهم مشاكل المسلمين

مشكلات تبحث عن حل

لعل من اخطر المشكلات التي تواجه الأقليات المسلمة في فنلندا هي:

- **مشكلة التنصير**

تكمن هذه المشكلة في قيام جماعات المنصرين لتنصير المسلمين، وردهم عن دينهم، وتشكيكهم فيه وفق خطط مدروسة بدقة متناهية في الإعداد والتنفيذ. ووفق مجهودات كبيرة، وإمكانيات ضخمة تسخرها الكنيسة في العالم من أجل تحقيق أهدافها، ووفق أساليب خاصة متعددة تكمن على سبيل المثال في معرفة أماكن تجمعات المسلمين، وفي الزيارات المتكررة إلى منازل الطلاب المسلمين، ودعوتهم إلى الحفلات،

وإلى الكنائس. ويوزعون عليهم كتباً تدعوا إلى النصرانية إلى الله. وهذه الكتب مترجمة إلى ما يقارب من مائة وخمسين لغة. كما يوزعون أيضا بعض الهدايا، والهبات على الأطفال المسلمين خاصة بشكل متزايد في اعياد النصارى، وعرض افلام فيديو عن النصرانية مما يهدد عقيدة هؤلاء الأطفال. ويؤدي ذلك بهم إلى انحرافهم عن دينهم الإسلامي.

• **مشكلة قلة الموارد المالية**

تعجز هذه المشكلة المسلمين في عدم قيام بناء المساجد، والمدارس، وقاعات المحاضرات، والمكتبات الإسلامية. وهذا يحتاج إلى مبلغ مليوني دولار امريكي. وهذه المشكلة تعجزهم أيضاً عن مواجهة النشاط التبشيري لهم ولأطفالهم.

• **مشكلة انخفاض التعليم**

يواجه المسلمون هذه المشكلة مما يؤدي بهم إلى إنخفاض مستواهم الثقافي والإجتماعي، والإقتصادي ويرجع ذلك إلى قلة الدعاة، والأفذة الذين يمكن أن يساهموا مساهمة فعالة في رفع مستواهم العلمي والثقافي وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم.

• **مشكلة الترجمات الخاطئة للقرآن**

تؤدي هذه المشكلة إلى الإنطباع الخاطئ عن القرآن الكريم، ولتزوير معانيه بوجود ثلاث ترجمات له، ولتضمينها أفكار مزيفة، وخاطئة عنه. وهذا بقصد تشويه معانيه، والإساءة إليه، وإلى فهم الإسلام. وترجع أخطاء هذه الترجمات إلى أن الأشخاص الذين يقومون بها محدودو المعلومات عن الإسلام.

• **مشكلة الميراث، وتربية ابناء المسلمين ورعاية أسرهم.**

نشاطات وجهود مخلصة

نرصد هنا في هذه السطور بعض الأنشطة، والجهود المخلصة التي تقوم بها المؤسسات، والهيئات، والجمعيات في الآتي:

١. الرابطة الإسلامية

أسس هذه الرابطة فضيلة الشيخ الدكتور أحمد عطية في فبراير ١٩٨٧م، وذلك طبقاً لأحكام المادة رقم ١٣ من قانون الحريات المعمول به في فنلندا. واعتمدت رسمياً من الحكومة الفنلندية.

وهي أقدم مؤسسة فنلندية إسلامية تضم مسلمين من الجنسيات المختلفة، ونشاطها يغطى جزء كبيراً من متطلبات الجالية المسلمة فيها. وتقوم هذه الرابطة بتحقيق التالي:

• إدارتها للمسجد الذي يوجد في مدينة هلسنكي. وإدارتها أيضاً للمسجد الذي يوجد في مدينة أولوشمال فنلندا.

• إنها تقوم بالنشاط الدعوي بين الجالية المسلمة، وبنشاط آخر موجه للشعب الفنلندي من غير المسلمين.

• إنها تصدر مجلة شهرية باللغة الفنلندية، والتي تعتبر المجلة الوحيدة التي تخاطب السكان الفنلنديين بلغتهم.

• إنها تنظم مؤتمرا سنويا يدعى إليها العلماء من مختلف دول العالم الإسلامي والعربي.

• إنها تقوم بتدريس الأطفال المسلمين لغاتهم الأم والقرآن الكريم.

• إنها تهتم بتسجيل المواليد، والوفيات بالإضافة إلى إهتمامها بالعلاقات الإجتماعية من زواج وإصلاح ذات المبين بين المسلمين.

• إنها تدعو الفنلنديين إلى الدخول في الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، والتعريف بالإسلام.

٢. مركز الوقف الإسلامي

يقول مدير هذا المركز علاء الدين محمد على ماهر (إنه إستطاع برغم قلة الإمكانات تأسيسه في عام ١٩٩٣م، واستطاع ان يحصل على مقبرة للمسلمين، وعلى شراء مبنى في وسط العاصمة (هلسنكى) ليكون مركزاً للمسلمين تقام فيه الصلاة، ولتلقى فيه الدروس العلمية، ويقوم بدور بالغ الأهمية رغم قلة إمكانياته في تعليم أبناء المسلمين على قيم الدين الإسلامي.

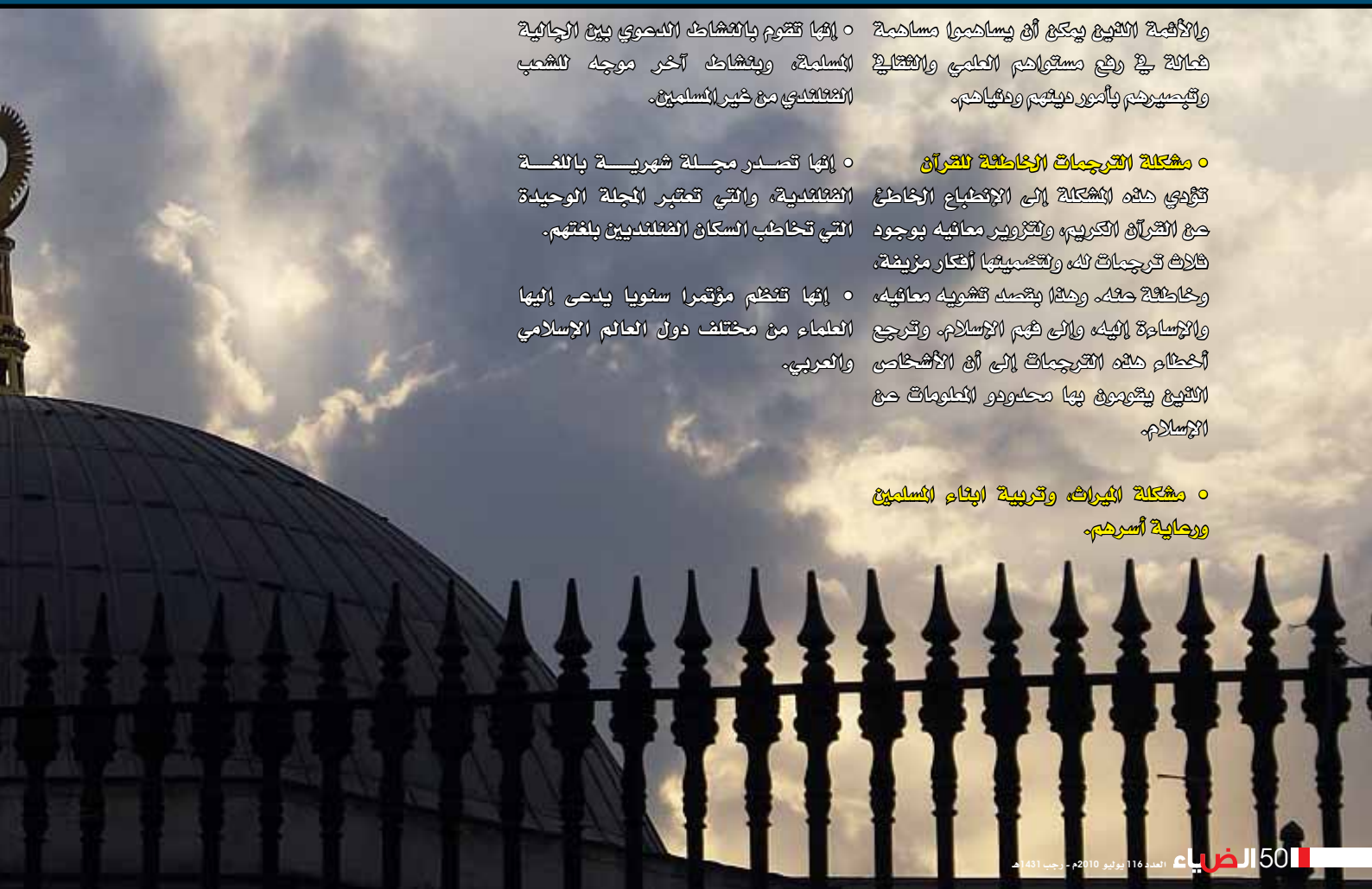

٣- جمعية التعليم الإسلامية

اقامت هذه الجمعية ١٠ مدارس إسلامية في أنحاء فنلندا. ويقوم الطلاب الفنلنديون من المدارس الأخرى بزيارة هذه المدارس الإسلامية للحصول على معلومات عن الإسلام. وحظيت هذه المؤسسة التعليمية بموافقة من الحكومة الفنلندية لتعليم الدين الإسلامي لأبناء المسلمين من جهة أخرى قام عدد من اللاجئين البوسنيين بزيارة إحدى المدارس الإسلامية في هلسنكى. وطلبوا من الجمعية الإسلامية في فنلندا إرسال معلمين إلى أماكن تجمعات المسلمين البوسنيين، ولخدمة المسلمين في فنلندا. وتم في شهر نوفمبر عام ١٩٩٢م افتتاح السكرتارية العامة لشمال شرق أوروبا (٢).

٤. إتحاد الجمعيات والروابط الإسلامية

يضم هذا الاتحاد حوالي ١٤ جمعية ومؤسسة إسلامية في فنلندا.

قطاع السياحة

تعد فنلندا من الدول التي توجد في شمال اوروبا. ويشتهر قطاعها السياحي بسحر طبيعتها الخلابة وجمالها حيث تزين أراضيها الآف البحيرات الجميلة التي تغطيها الغابات الكثيفة، وبسواحلها الملونة بالصخور الجرانتية الحمراء، والرمادية، والتي تجذب اعين السياح إلى زيارتها للإستمتاع بها.

لذا، وبناء على الفحص المتقدم، فإن فنلندا هي إذن إحدى دول شمال اوروبا، والتي تضم كلاً منها: السويد، والنرويج، وايسلندا.

وعرفت الإسلام مبكراً منذ أكثر من مائة وخمسين عاما. المسلمون فيها يمثلون ١٥٪ في المائة من سكانها. ويعملون في نفس الوقت بكل جهودهم المتواضعة، وفي حدود إمكانياتهم القليلة على تأكيد هويتهم العقائدية من خلال المؤسسات، والهيئات، والجمعيات المتقدمة الذكر.

> المسلمون في فنلندا في أمس الحاجة إلى الدعاة، والأئمة، والعلماء لنشر تعاليم الإسلام فيها

الأخرى حتى يفشلوا التداعيات الزائفة، والمزاعم المغرضة التي تبثها شتى آليات الإعلام عنهم، وعن دينهم الإسلامي، كما أن المسلمين في هذه الدولة هم أيضا في أشد الحاجة الضرورية إلى أقامة مراكز ومدارس إسلامية، ومساجد، ومكتبات دينية تكون عامرة بأمهات كتب الفقه والسنة بمختلف اللغات الأجنبية، وتزويدهم أيضاً بترجمات معاني القرآن الكريم باللغة الفنلندية من أجل القضاء على الترجمات

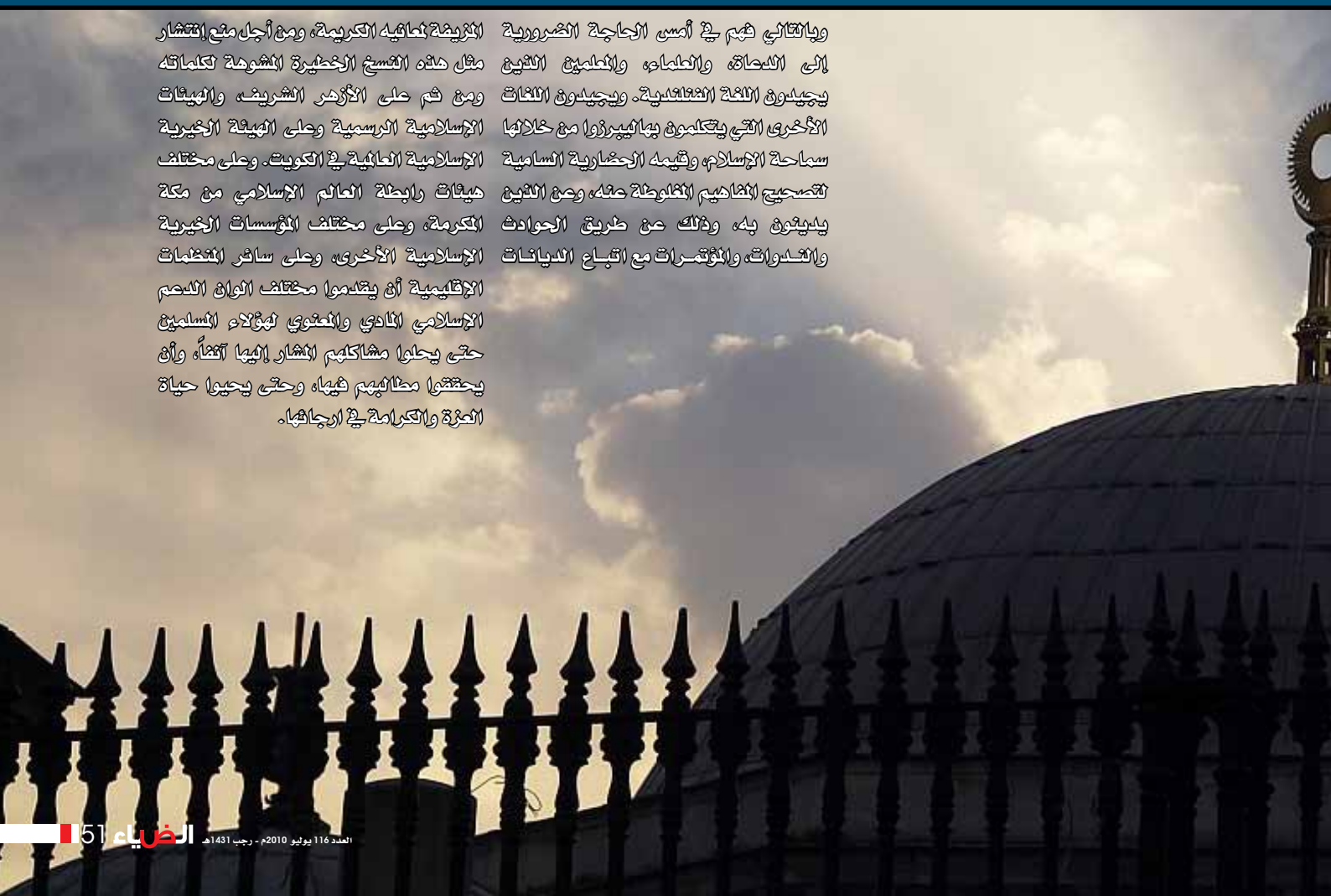

وبالتالي هم في أمس الحاجة الضرورية إلى الدعاة، والعلماء، والمعلمين الذين يجيدون اللغة الفنلندية. ويجيدون اللغات الأخرى التي يتكلمون بها ليبرزوا من خلالها سماحة الإسلام، وقيمه الحضارية السامية لتصحيح المفاهيم المغلوطة عنه، وعن الذين يدينون به، وذلك عن طريق الحوادث والندوات، والمؤتمرات مع اتباع الديانات المزيفة لمعانيه الكريمة، ومن أجل منع إنتشار مثل هذه النسخ الخطيرة المشوهة لكلماته ومن ثم على الأزهر الشريف، والهيئات الإسلامية الرسمية وعلى الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت. وعلى مختلف هيئات رابطة العالم الإسلامي من مكة المكرمة، وعلى مختلف المؤسسات الخيرية الإسلامية الأخرى، وعلى سائر المنظمات الإقليمية أن يقدموا مختلف الوان الدعم الإسلامي المادي والمعنوي لهؤلاء المسلمين حتى يحلوا مشاكلهم المشار إليها آنفاً، وأن يحققوا مطالبهم فيها، وحتى يحيوا حياة العزة والكرامة في ارجائها.

التميز والجودة في الإسلام

بقلم:
د. مأمون أحمد الريح
خبير الجودة بمنظمة اليونسكو
جامعة أم درمان الإسلامية

من أهم المقومات التي يجب أن نعتمد عليها في الدعوة للتميز والجودة، وبخاصة في مجتمعاتنا الإسلامية والعربية. تمسكنا بعقيدة التوحيد الصحيحة والتي تمثل حضارتنا وتراثنا وأخلاقنا وقيمنا الإسلامية، ونتعامل بها مع بعضنا البعض في البيت والطريق والعمل وفي كل مكان، والتاريخ يؤكد أن الأمة الإسلامية متميزة عن سائر الأمم. وتحمل مبادئَ وقيماً دعا إليها رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

فالأمة الإسلامية تحمل المنهج الحق الذي جاء من عند الله المبدع، ولذلك نجد أن قمة الإبداع واضحة في كل جوانب هذا المنهج، ولكن أداءَ الأمة وتجاوبَها مع الحق هوالذي يتغير، وبالتالي فإن المنهج محفوظ وباق والمسلمون قادرون على ممارسته وتفعيله، وما نحن بصدده في هذا اللقاء هو موضوع (الإبداع .... الطريق إلى التميز) فإذا دققنا النظر فيما يقوم عليه موضوع الجودة الشاملة من مبادئ تبين لنا أن سائر هذه المبادئ قد جاءت في الإسلام بأسمى وأفضل مما عرف الناس وإن لم تكن تحمل ألفاظ أدبيات الجودة الشاملة، ومدخل إدارة الجودة الشاملة وما يتضمنه من أسس ومبادئ وثقافة تنظيمية ومفاهيم إدارية وافتراضات ومعتقدات وسلوكيات هي في الأصل مما حث عليه الإسلام الحنيف بمصدريه القرآن الكريم والسنة المطهرة بتوظيف الملكات الإبداعية الكامنة ليصل بالإنسان إلى أعلى درجات التميز البشري.

وإننا نتوقع تحقيق نجاح كبير في هذا الشأن إذا استلهمنا من الإسلام هذه المبادئ والقيم، وذلك للأسباب التالية:

• سهولة وسرعة تحقيق التميز بتفعيل المبادئ الإسلامية، لأن الواقع يؤكد وجود رصيد كبير منها بين الموظفين.

• إن اعتناق مبادئ وثقافة الجودة باعتبارها مبادئ إسلامية تجعلنا نتميز بها عن سائر الأمم الأخرى فالثقافة الإسلامية تعتبر لغة مشتركة بين جميع العاملين في أي مؤسسة.

• والإسلام يعتبر عنصر ربط للموظف بين عمله وبيته وجيرانه ومجتمعه ويستطيع به أن يتميز فيها جميعاً.

• إن سائر المسلمين يتخذون سيرة النبيَ -صلى الله عليه وسلم- قدوة ومثلاً أعلى لهم وقد حفلت حياته بالإحسان والإبداع في جميع الميادين، فقد كانت من الخصب والغنى بحيث تسع جميع الناس في جميع الأزمان والأمكنة ويجد فيها كل أصناف الناس وطبقاتهم وفئاتهم القدوة في الإحسان في سائر الأحوال والظروف الحياتية، فيجد القائد والمدير والرئيس والمرؤوس والعامل والموظف، غنيهم وفقيرهم، كبيرهم وصغيرهم، يجد كل منهم من الإحسان والإتقان والطريق إلى التميز في سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- ما يطمح إلى تحقيقه.

> **الأمة الإسلامية تحمل المنهج الحق الذي جاء من عند الله المبدع، ولذلك نجد أن قمة الإبداع واضحة في كل جوانب هذا المنهج**

التوجه الأساسي

إن التوجه الأساسي في منهجية الجودة الشاملة هو إرضاء العميل سواء العميل الخارجي أوالداخلي، وقد حرص الإسلام على حسن التعامل بما يحقق التراضي بين المتعاملين. وقد جاء عن سعيد بن المسيب حديث مرسل أن رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس، ولفظ الناس في الحديث يعني كل من نتعامل معه من المسلمين وغيرهم.

وقال -صلى الله عليه وسلم-: (الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) وفي هذا حض على تقديم الخدمة للآخرين.

وعن ابن عمر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نهى عن بيع النخل حتى يزهو - يحمرويصفر - وعن السنبل حتى يبيض - يشتد حبه ويأمن العاهة، أي الآفة - نهي للبائع والمشتري، وفي هذا حث على تقديم الأفضل والأجود للمستفيد.

وقال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره)، وفي رواية: (فليحسن إلي جاره)، وفي رواية: (فلا يؤذ جاره)، والجار يشمل جار السكن وجار العمل وجار السفر...الخ.

قال تعالى: ﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين، وزنوا بالقسطاس المستقيم، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾الشعراء: ١٨١-١٨٣

وهكذا نرى أن إرضاء العميل من الواجبات الشرعية، لكن لابد من ملاحظة أن هذا التوجه يجب أن يكون في ضوء الضوابط الشرعية أولاً، وكذلك وفقاً لأهداف المؤسسة والروابط والأسس الإدارية المنظمة لأنشطتها المختلفة. فمثلاً قد يواجه الإنسان نوعاً من العملاء لا يتحقق إرضاؤه إلا بالغش والجور والسرقة، وهذه بعض الأمثلة في القصة التالية:

عميل يستلم صفقة من منتج معين قيمتها مليون دولار أمريكي، ولكنه يستطيع الحصول على نفس الصفقة بنصف مليون دولار وذلك مقابل دفع رشوة قيمتها ٥٠٠٠٠ دولار فقط – وهذا يرضي العميل أكثر (يلاحظ أنه عميل خارجي).

سيقدم العميل الرشوة إلى مدير إدارة المبيعات، ومن ثم سيطلب هذا المدير من محاسب البيع تزوير مستندات البيع، فإذا قام المحاسب بعمل هذا التزوير فهذا يرضي مديره بالطبع (وهوعميل داخلي) فها هنا تم إرضاء العميل ولكن بمعصية الله.

مما سبق يتضح أن لفظ (إرضاء العميل) يحتاج إلى ضبط أكثر وليكن مثلاً (إرضاء العميل بالحق) وبالتالي يبدأ حوار جديد لتحديد معالم وحدود الحق، وإذا ترك تحديد الحق للبشر اضطربت الآراء واختلفت الأفكار، متأثرة بالأهواء والأغراض والرغبات المتباينة، أما في الإسلام فإن الحق واضح وجلي وثابت، لأنه مرتبط برضا الله سبحانه وتعالى الذي حدد في الشرع الحكيم ماهيةَ الحق وسماته

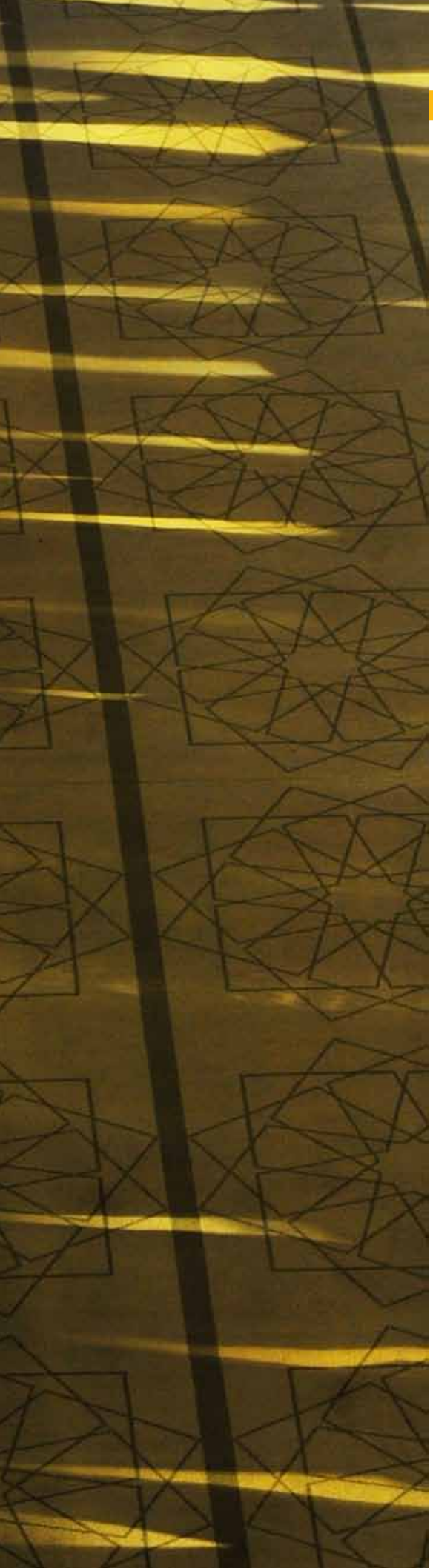

وخصائصَه وحدودَه من حيث النوع والكم والوقت والقدر، وبالتالي يكون التوجه الأساسي للجودة الشاملة في الإسلام هو(إرضاء الله) أولا ثم يأتي بعد ذلك إرضاء العميل .

ويتضح هذا المعنى من المقطع الأول لحديث الرسول (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه). فإن إتقان العمل يقوم به المؤمن لأن هذا عمل يحبه الله، فالغاية إذن هي إرضاء الله قبل أي شيء آخر. إن أي إنسان إذا كان توجهه هو إرضاءَ الله أولا، فمما لا شك فيه أن هذا التوجه أرقى بكثير من إرضاء العميل فقط لأنه سيدفع صاحبه إلى الطريق المستقيم والمسار الحق إلى التميز الواضح وذلك للأسباب التالية :

١. أن الإيمان بالله في حد ذاته تميز وارتقاء بالإنسان إلى مرتبة عالية وسامية، وهذا هو أول تصنيف لجودة الجنس البشري، قال الله تعالى : ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ التين :٤-٦، وإن أساس خلق الله للإنسان من البداية في أحسن صورة، ولكن عدم التزامه بالمنهج الحق يودي به إلى الانتكاس والتدني عن هذه الصورة الحسنة، ويستثنى من ذلك المؤمنون، قال الله تعالى :﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ سورة العصر.

٢. لأن الإنسان يهتم أكثر بإتقان العمل حسب قدر المتلقي فإن العمل الذي يقدم لرئيس قسم مثلا سيكون أكثر اتقاناً إذا قدم إلى رئيس الشركة ويكون أكثر وأكثر إذا قدم إلى وزير وبالتالي سيزداد الإحسان في العمل نفسه الذي قدم إلى رئيس الدولة أوالملك من الملوك، فما بالكم والإنسان يستشعر قدر الله وأنه هوالذي سيتلقى منه العمل أولاً ومن هو؟ إنه الله العلي القدير مالك الملك، وقد كان المسلمون الأوائل يدركون هذا المعني، حتى إن بعضهم ليعطر ماله الذي سيتصدق به، لعلمه أنه سيقع في يد الله أولا .

٣. أن هذا التوجه سيكون دافعاً أولاً لإصلاح النية والترقي بها، فالمؤمن على يقين أن ذلك من علم الله الذي يحيط به . قال الله تعالى :﴿ ... إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً ... ﴾الأنفال: ٧٠ ، ومما لاشك فيه أن نقاء النية يعتبر تميزاً في جانب عجزت الجودة الشاملة والنظم البشرية عن التحكم فيها.

٤. أن إرضاء العميل بسخط الله ستكون نتائجه وخيمة في الدنيا والآخرة .

قال تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الأخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ القصص : ٧٧ ، وقال رسول الله: (من التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس).

> الإيمان بالله في حد ذاته تميز وارتقاء بالإنسان إلى مرتبة عالية وسامية، وهذا هو أول تصنيف لجودة الجنس البشري

إن تمثل منهجية ومنظومة الجودة كمدخل من مداخل إدارة التغيير، ولتحقيق الربط بين التوجه الأساسي للإسلام، والتوجه الأساسي للجودة فيجب أن يتضمن التوجه الأساسي يفيد إرضاء الله، ونقترح هذه العبارة (إرضاء العميل بما يرضي الله)، وبذلك يتضح التميز في التوجه الأساسي في الجودة بالإسلام وبين التوجه الأساسي لمدخل الجودة الشاملة.

القواعد العامة للعمل الخيري

بقلم:
د. عبد القادر عادل قوتة
أستاذ مساعد - قسم الدراسات الإسلامية
جامعة الملك عبدالعزيز - جدة

١. الأمور بمقاصدنا (١):

هذه القاعدة الجليلة المباركة من أعظم القواعد الشرعية لدى العلماء كافةً، ومن أكثرها امتداداً وأثراً، إذ عليها مدار جميع أحوال الإنسان وتصرفاتهم.

وأصل هذه القاعدة الجليلة وسندها الأول هو قوله الكريم صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف المعروف: ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى))(٢).

قال الإمام ابن رجب - رحمه الله تعالى: (هاتان كلمتان جامعتان وقاعدتان كليتان، لا يخرج عنهما شيءٌ)(٣).

ولفظ (الأمور) الوارد في القاعدة جمع أمر، والأمر هو الشأن، وهو يشمل: الأقوال والأفعال والتصرفات كلها.

والمقاصد جمع مقصد، ويطلق على معنيين:

١- الغاية والغرض من الشيء.

٢- النية الباعثة على العمل.

والمراد بهذه القاعدة: بيان أن جميع الأمور التي يقوم بها المكلف تتحدد وتتوقف على مقاصدها، أي: على الباعث عليها، والنية الباطنة المصاحبة لها، هذا من جهة. ومن جهة أخرى: تتوقف أيضاً على غاياتها وأهدافها، التي ينبغي أن تكون موافقة للشرع.

هذا. (وأمر النية والإخلاص)، هو فاتحة كل أمرٍ، وأعظم مقامات الدين، وأجل أخلاق الربانيين الصالحين المصلحين، وعليه مدار الأعمال كلها.

والمقصود هنا - بحث بعدها وأثرها في (العمل الخيري) بجوانبه المختلفة، وبخاصة ما يتعلق منه بجانب جمع المال وإنفاقه في أعمال الخير والبر.

ومن المعلوم المقرر: أن كل عمل مباح يصبح بالنية الصالحة عبادةً يتقرب بفعله إلى الله تعالى، (وفي بضع أحدكم صدقة)(٤)، و(إنك لن تنفق نفقةً تبتغي وجه الله تعالى إلا أجرت عليها حتى ما تجعله في فم امرأتك)(٥)، فكيف إذا كان عملاً خيراً وكان نفعه متعدياً، في قضاء حوائج الناس وتفريج كرباتهم وضروراتهم، كما هو الشأن في العمل الخيري بكل أبعاده وآثاره، كما أنه لا يعرف أعظم أجراً وأكثر نفعاً وخيراً، ولا أكبر عـائدةً وأبعد أثراً وأبقى ذخـراً - بعد نشر العلم الصحيح - من فعل المعروف والقيام عليه.

وأيضاً: ولا أكثر ضرورةً من إصلاح النية في فعل المعروف وتعاهدها في القيام به وعليه. وكم أرق الصالحين حديث أول من تسعر بهم النار يوم القيامة.

فمن النصوص الخاصة في بيان علاقة صلاح النية بالعمل الخيري:

﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ (النساء: ١١٤).

في هذه الآية الكريمة (الصدقة) تشمل الواجبة والمستحبة، و(المعروف): هو كل ما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير، (أو إصلاح بين الناس) هو الإصلاح بن المتباينين أو المختصمين بما أباح الله الإصلاح بينهما(٦).

ويكاد (العمل الخيري) في كل زمانٍ ومكانٍ لا تخرج أبعاده وأنشطته وبرامجه عن هذه المجالات الثلاثة.

قال الإمام الطاهر بن عاشور - رحمه الله تعالى: (نفى الخير عن كثيرٍ من نجواهم أو متناجيهم، إلا نجوى ﴿من أمر بصدقة﴾، وقوله تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك..﴾ الآية، وعدٌ بالثواب على فعل المذكورات إذا كان لابتغاء مرضاة الله، فدل على أن كونها خيراً وصفٌ ثابتٌ لها لما فيها من المنافع، ولأنها مأمورٌ بها في الشرع، إلا أن الثواب لا يحصل إلا من فعلها ابتغاء مرضاة الله، كما في حديث ((إنما الأعمال بالنيات))(٧).

وخاتمة ذلك هذان الحديثان الشريفان، في خصوص فضل وأهمية صحة قصد القائم على عمل الخير:

١. عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((العامل على الصدقة بالحق - لوجه الله تعالى - كالغازي في سبيل الله عز وجل حتى يرجع إلى أهله))(٨).

٢. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الخازن المسلم الأمين، الذي ينفذ ما أمر به، فيعطيه كاملاً موفراً، طيبة بها نفسه، فيدفعه إلى الذي أمر به أحد المتصدقين))(٩).

هذا. وليعلم أن صاحب النية الصالحة لا يستوحش مما قد يأتي عليه أو يمر به أو يعانيه، وليس ثمة أمرٌ يعين على تحمل الأعباء، وتذليل العقبات والصعاب مثل إرادة وجه الله تعالى وصلاح النية، فصاحبها يأوي إلى ركنٍ شديد.

٢. الجزاء من جنس العمل

هذه القاعدة الجليلة المباركة، الدالة على حكمة الله تعالى وعدله في أقضيته وأقداره، وعلى عدله سبحانه وتعالى وحكمته في تشريعاته وأحكامه = هذه القاعدة من أولى الناس بمعرفتها والتحقق بها، وتشرب شواهدها وآثارها: القائمون على عمل الخير ونفع الناس.

فإن استصحابها وحضورها في نفوسهم ونياتهم، في أقوالهم وأفعالهم، يورثهم - بإذن الله تعالى وفضله - سكينةً وطمأنينةً، وتثبيتاً من أنفسهم، وصحة نية وسداداً في تصرفاتهم، ومزيد تضحية واحتساب ورضاً بما يلقون في سبيل الله تعالى، ونفع المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، الذي لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً.

وأذكر - بعون الله تعالى وحسن هدايته وتوفيقه - في تقرير هذه القاعدة - ما يكون سنداً وشاهداً، ودليلاً وقائداً، ومثلاً ومثالاً في آنٍ معاً. وجل ذلك، بل كله من كلام الإمامين الكبيرين - ابن تيمية وابن القيم - رحمهما الله تعالى - وأجمع بين كلاميهما لمكان المناسبة وللاختصار(١٠)، مع زيادة بعض النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة، ومزيد إظهار وعناية لما له بموضوع العمل الخيري وتوابعه تعلقٌ وصلةٌ.

• الجزاء مماثلٌ للعمل، ومن جنسه في الخير والشر، والثواب والعقاب يكونان من جنس العمل في قدر الله وفي شرعه، فإن هذا هو العدل الذي تقوم به السماء والأرض، وربنا تعالى وتقدس - كما وصف نفسه - على لسان نبيه هود عليه السلام: ﴿إن ربي على صراطٍ مستقيم﴾ (هود: ٥٦). وعليه: فالجزاء من جنس العمل، فمن الجهة الأولى حيث الثواب والخير:

• قال الله تعالى: ﴿إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوءٍ فإن الله كان عفواً قديراً﴾ (النساء: ١٤٩). وقال سبحانه: ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ (النور: ٢٢). وقال تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ (البقرة: ١٥٢).

• وقال الله تعالى: ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ (الأنفال: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً - وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً - ولهديناهم صراطاً مستقيماً﴾ (النساء: ٦٦-٦٨).

وقال عز وجل: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ (محمد: ١٧)، ومثله قوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً - ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ (الطلاق: ٢-٣).

وقال سبحانه: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (الرحمن: ٦٠).

وقال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ (الطلاق: ٣)، قال بعض السلف: جعل الله لكل عملٍ جزاءً من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده، ولم يقل نؤته كذا وكذا من الأجر - كما قال في بعض الأعمال، بل جعل نفسه المقدسة سبحانه كفاية عبده المتوكل عليه، وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد على الله تعالى حق توكله، وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له مخرجاً من ذلك، وكفاه ونصره.

هوامش:

(١) في هذه القاعدة - انظر: قواعد المجلة العدلية (ق١)، شرح القواعد الفقهية/للشيخ أحمد الزرقا: ٤٧، درر الحكام (شرح علي حيدر): ١/١٧، والمصادر الآتية.

(٢) متفق عليه: البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٣) جامع العلوم الحكم: ١/٥٩.

(٤) مسلم (١٠٠٦).

(٥) متفق عليه: البخاري (٥٦)، ومسلم (١٦٢٨).

(٦) انظر: تفسير الطبري، من كتابه: جامع البيان: ٢/٥٥٦.

(٧) التحرير والتنوير: ٥/١٩٩، ٢٠٠.

(٨) أخرجه أحمد: (٣/٤٦٥)، وأبو داود (٢٩٣٦)، والترمذي (٦٤٥)، وابن خزيمة: (٣/٥١)، وإسناده حسن.

(٩) متفقٌ عليه: البخاري (١٤٣٨)، ومسلم (١٠٢٣).

(١٠) ولتقاربه في المعاني، فهو يسقى بماءٍ واحد، انظر في نصوص كلام الأول: مجموع الفتاوى: ٦/٤٨٢-٤٨٤، ٧/٢٧٣-٢٧٦، ٨/٣٣٩، ١٥/٢٦-٢٨، ٣٩٦، ١/٥٢٥، ١٨/١٧٤-١٧٨، ٢١/٢٥٧-٢٥٨، ٢٨/١١٩-١٢٠.

وفي نصوص كلام الثاني، انظر: إعلام الموقعين: ١/١٩٦، تهذيب سنن أبي داود: ٩/٢٤٤، بدائع الفوائد: ٢/٢٣٩-٢٤٠، الوابل الصيب: ٤٠-٤٦، الحواب الكافي: ٨٥-٨٦، مفتاح دار السعادة: ١/٧١، ٢٥٣-٢٥٤. وما تركت من كلام الإمامين أكثر وأكثر، انظر جملته في: بلوغ الأمل في تقرير قاعدة (الجزاء من جنس العمل) للأستاذ محمد شومان الرملين فكل الصيد فيه.

الوقف
ودوره في النماء الاجتماعي

د. أشرف محمد يوسف
جامعة أم درمان الإسلامية – كلية الشريعة

قالَ اللّهُ تعالَى:﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ (سورة البقرة: ١٩٧)
يقولُ اللّهُ تعالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة: ٢٦١)
لَقَدْ كَلَّفَ اللّهُ تعالَى الإِنْسانَ بالسَّعْيِ، وَرَبَطَ الثَّوابَ والعِقابَ بِمَسْعاهُ في الدنيَا، فَمَنْ سَعَى في وُجُوهِ الخَيْرِ، ونَفَعَ النَّاسَ كَانَ لَهُ الأَجْرُ بِقَدْرِ سَعْيِهِ، فَمَا مِنْ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ المُسْلِمُ فَيَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ إلاَّ أُجِرَ عَلَيْهِ، وأُثِيبَ بِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى اللّه عليه وسلم–: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْه إنسانٌ، أَوْ طَيْرٌ، أَوْ بَهيمَةٌ إلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ)) البخاري ومسلم.

وإنَّ أَعْظَمَ الأَعْمالِ أَجْرًا، وأَكثرَها لصاحبِهَا ثوابًا هيَ أَدْومُهَا نَفْعًا، وأَدْومُ النَّفْعِ هُوَ العَمَلُ الخَيْرِيُّ الَّذي يَسْتَمِرُّ نَفْعُهُ بَعْدَ مَوْتِ صَاحِبِه، قَالَ رَسُولُ اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم-: ((يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثلاثةٌ، فَيَرْجِعُ اثنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ)) متفق عليه. ويلحقُ بعملِ الإنسانِ بعدَ موته مَا وقفَهُ للّه تعالَى في حياته، وَلَقَدْ عَرَّفَ العُلماءُ الوَقْفَ بأَنَّهُ: حَبْسُ مَالٍ أَوْ مَنْفَعَةٍ عَلَى جِهَةٍ مِنْ جِهاتِ الخَيْرِ، فالوَاقِفُ أَكْثَرُ النَّاسِ انْتِفَاعًا بالوَقْفِ؛ لأَنَّ اللّه يُخْلِفُ عَلَيْهِ في الدُّنْيَا أَضْعَافًا، وبَعْدَ مَوْتِه يَسْرِي لَهُ الأَجْرُ وهُوَ في قَبْرِه، والوَقْفُ فيه نَفْعٌ للأَحياءِ، وَرَحْمَةٌ للأَمْوَاتِ، وهُوَ وَسِيلَةٌ لتَنْمِيَةِ المَالِ في الدُّنْيَا، وادِّخَارِه في الآخرةِ، وإِذَا كانتِ التَّنْمِيةُ الحَقِيقِيَّةُ للمَالِ هي اسْتِثْمَارُهُ في كُلِّ مَا يُمْكِنُ اسْتِثْمَارُهُ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَسْتَثْمِرَ أَمْوَالَنَا في المَشَارِيعِ الَّتِي لا خَسَارَةَ فيهَا أَبَدًا، وَرِبْحُهَا مَضْمُونٌ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ، وَذَلِكَ مِنْ خِلالِ الوَقْفِ الخَيْرِيِّ بِجَمِيعِ أَشْكَالِه، قَالَ اللّه تعالَى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ وَلَقَدْ سَارَعَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللّه عنهُمْ مِنْ قَبْلُ إِلَى اسْتِثْمَارِ أَمْوَالِهِمْ في الوَقْفِ، فعَنْ عَبدِ اللّه بْنِ عُمَرَ رضِيَ اللّه عنهُمَا: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضاً بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ -صلى اللّه عليه وسلم- يَسْتَأْمِرُهُ فيهَا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّه إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضاً بِخَيْبَرَ، لَمْ أُصِبْ مَالاً قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِه قَالَ: (إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا). قَالَ: فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ أَنَّهُ لا يُبَاعُ وَلا يُوهَبُ وَلا يُورَثُ، وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الْفُقَرَاءِ وَفِي الْقُرْبَى، وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللّه، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ، لا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَيُطْعِمَ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ . وهذَا مَا يُسَمَّى بالوقْف.

وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضيَ اللّه عنهُ: أَنَّ بِئْرَ رُومَةَ لَمْ يَكُنْ يَشْرَبُ مِنْهَا أَحَدٌ إِلاَّ بِثَمَنٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللّه -صلى اللّه عليه وسلم-: (مَنْ يَبْتَاعُ بِئْرَ رُومَةَ غَفَرَ اللّه لَهُ) فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- فَقُلْتُ: قَد ابْتَعْتُ بِئْرَ رُومَةَ. قَالَ: (فَاجْعَلْهَا سِقَايَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَأَجْرُهَا لَكَ). فَجَعَلْتُهَا لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَابْنِ السَّبِيلِ.

الوَقْفُ سِمَةٌ حَضَارِيَّةٌ، ودَلِيلٌ عَلَى وَعْيِ المجتمع

لَقَدْ شَيَّدَ المُسْلِمونَ مِنَ الوَقْفِ أَعْمالاً ضَخْمَةً، ومَشَارِيعَ هَامَّةً، مَا تَزَالُ آثَارُهَا بَاقِيَةً حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا، وَلَمْ يَقْتَصِرِ الوَقْفُ عَلَى بِنَاءِ المَسَاجِدِ ومَا يَلْحَقُ بِهَا، بَلْ أَسْهَمَ الوَقْفُ في جَمِيعِ مَجَالاتِ الحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، كَبِنَاءِ المَشَافِي، وشَقِّ الطُّرُقِ، وإِقَامَةِ الجُسُورِ، وإِجْرَاءِ الأَنْهَارِ، وبِنَاءِ المَدَارِسِ العِلْمِيَّةِ والشَّرْعِيَّةِ ومَا يَلْحَقُ بِهَا، وأَسْهَمَ الوَقْفُ في عِلاجِ المَرْضَى، وتَأْمِينِ الدَّوَاءِ، وتَخْفِيفِ آلامِ المَفْجُوعِينَ، ومَسْحِ جِرَاحَاتِ المَنْكُوبِينَ، ورِعَايَةِ أُسَرِ المَسْجُونِينَ، وكَفَالَةِ الأَيْتَامِ والأَرَامِلِ، وتَزْوِيجِ الشَّبَابِ، وقَضَاءِ الدُّيُونِ، ورِعَايَةِ المُسِنِّينَ، وأُسَرِ المَرْضَى في حَالِ مَرَضِهِمْ، وكَفَالَةِ المُحْتَاجِينَ مِنْ ذَوِي الاحْتِيَاجَاتِ الخَاصَّةِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّه -صلى اللّه عليه وسلم-: (سَبْعَةٌ يَجْرِي لِلعَبْدِ أَجْرُهُنَّ وَهُوَ في قَبْرِه بَعْدَ مَوْتِه: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهْرًا - وفي رواية: أَجْرَى نَهْرًا - أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلاً، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِه).

الحَمْدُ للّه الَّذي فَتَحَ لَنَا أَبْوَابَ الطَّاعَاتِ، وَيَسَّرَ لَنَا سُبُلَ الدَّرَجَاتِ، وَدَلَّنَا عَلَى فِعْلِ الخَيْرَاتِ، وجَعَلَ الأَجْرَ سَارِيًا لِلمُحْسِنِينَ بَعْدَ المَمَاتِ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللّه، بِيَدِه مُلْكُ الأَرْضِ والسَّمَوَاتِ، وأَشْهَدُ أَنَّ سيدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النِّعْمَةُ المُهْدَاةُ، والرَّحمةُ المُسْدَاةُ، اللهمَّ صَلِّ وسَلِّم وبَارِك عَلَى سيدنَا محمد وَعَلَى آلِه وأَصْحَابِه والتَّابعينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فاتَّقُوا اللّه عبادَ اللّه، وأُوصيكمْ باغْتِنَامِ الفُرَصِ قَبْلَ الفَوَاتِ، وأَسْهِمُوا في مَشَارِيعِ الوَقْفِ الَّتِي تقومُ بِهَا دَوْلَةُ الإِمَارَاتِ بِأَشْكَالِهَا المُتَنَوِّعَةِ في رِعَايَةِ المَسَاجِدِ، وحِفْظِ القُرْآنِ، وتعليمِ السُّنَّةِ، وغيرِهَا مِنَ المَبَرَّاتِ الَّتِي تُسَاعِدُ الفُقَرَاءَ وأَهْلَ الحَاجَاتِ، نسألُ اللّه تعالَى أَنْ يَحْفَظَ هَذَا البَلَدَ وأَهْلَهُ والمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ.

إعجاز الإسلام
في ساعة الجسم البيولوجية

د. زهير مهندار
مستشفى الإمارات

١. صلاة الفجر
يستيقظ المسلم في الصباح ليصلي صلاة الصبح وهو على موعد مع ثلاثة تحولات مهمة:

• الإستعداد لاستقبال الضوء في موعده، مما يخفض من نشاط الغدة الصنوبرية، وينقص الميلاتونين، وينشط العمليات الأخرى المرتبطة بالضوء.

• نهاية سيطرة الجهاز العصبي (غير الودي) المهدئ ليلاً وانطلاق الجهاز (الودي) المنشط نهاراً.

• الاستعداد لاستعمال الطاقة التي يوفرها ارتفاع الكورتيزون صباحاً. وهو ارتفاع يحدث ذاتياً، وليس بسبب الحركة والنزول من الفراش بعد وضع الإستلقاء كما ان هرمون السيروتونين يرتفع في الدم وكذلك الأندروفين.

أكثر المضاعفات عند مرضى القلب تحدث بعد هذه الفتره مباشرة، مما يدل على الحرج الذي يمر به العضو الحيوي في هذه الفترة. ومن الطريف ان اكثر المضاعفات عند الأطفال حديثي الولادة تحدث أيضاً في هذه الفتره حيث ان موت الاطفال حديثي الولادة يبلغ اقصاه في الساعة الثانية بعد الظهر ، كما أن اكثر المضاعفات لديهم تحدث بين الثانية والرابعة بعد الظهر. وهذا دليل آخر على صعوبة الفترة التي تلي الظهر بالنسبة للجسم عموماً والقلب خصوصاً، (أغلب مشكلات الأطفال حديثي الولادة مشكلات قلبية تنفسية) وحتى عند البالغين الأسوياء ، حيث تمر أجسامهم في هذه الفترة بصعوبة بالغة وذلك بارتفاع ببتيد خاص يؤدي إلى حوادث وكوارث رهيبة.

هذه الصلاة إلى قبيل النوم للإنتهاء من كل المشاغل ثم النوم مباشرة بعدها. وفي هذا الوقت تنخفض حرارة الجسم ودقات قلبه وترتفع هرمونات الدم.

ومن الجدير بالملاحظة أن توافق هذه المواعيد الخمسة مع التحولات البيولوجية المهمة في الجسم، يجعل من الصلوات الخمس منعكسات شرطية مؤثرة مع مرور الزمن.

فيمكن أن نتوقع أن كل صلاة تصبح في حد ذاتها إشارة لانطلاق عمليات ما، حيث أن الثبات على نظام يومي في الحياة ذي محطات ثابتة. كما يحدث في الصلاة مع مصاحبة مؤثر صوتي وهو الأذان.

يجعل الجسم يسير في نسق مترابط جداً مع البيئة الخارجية. ونحصل من جراء ذلك على انسجام تام بين المواعيد البيولوجية داخل الجسم، والمواعيد الخارجية للمؤثرات البيئية كدورة الضوء ودورة الظلام، والمواعيد الشرعية بأداء الصلوت الخمس في مواقيتها.

٢. صلاة الظهر
يصلي المسلم الظهر وهو على موعد مع ثلاث تفاعلات مهمة:

• يهدئ نفسه بالصلاة إثر الإرتفاع الأول لهرمون الأدرينالين آخر الصباح.

- يهدئ نفسه من الناحية الجنسية حيث يبلغ التستوستيرون قمته في الظهر.

• تطالب الساعة البيولوجية الجسم بزيادة الإمدادات من الطاقة إذا لم يقع تناول وجبة سريعة.

• وبذلك تكون الصلاة عاملاً مهدئاً للتوتر الحاصل من الجوع.

٣. صلاة العصر
مع التأكيد البالغ على أداء الصلاة لأنها مرتبطة بالقمة الثانية للأدرينالين، وهي قمة يصحبها نشاط ملموس في عدة وظائف، خاصة النشاط القلبي، كما أن وتعمل صلاة العصر على توقف الإنسان عن أعماله ومنعه من الإنشغال بأي شيء آخر اتقاءً لهذه المضاعفات.

٤. صلاة المغرب
فهي موعد التحول من الضوء إلى الظلام، وهو عكس ما يحدث في صلاة الصبح، ويزداد إفراز الميلاتونين بسبب بدء دخول الظلام فيحدث الإحساس بالنعاس والكسل، وبالمقابل ينخفض السيروتونين والكورتيزون والأندروفين.

٥. صلاة العشاء
في موعد الإنتقال من النشاط إلى الراحة. عكس صلاة الصبح. وتصبح محطة ثابتة لانتقال الجسم من سيطرة الجهاز العصبي (الودي) إلى سيطرة الجهاز (غير الودي)، لذلك فقد يكون هذا هو السر في سنّة تأخير